سلسلة تحرير دين الإسلام
من احتلال المذاهب وأصحاب الكلام

الفقه

الذي أمر الله به
والفقه الذي نهى الله عنه

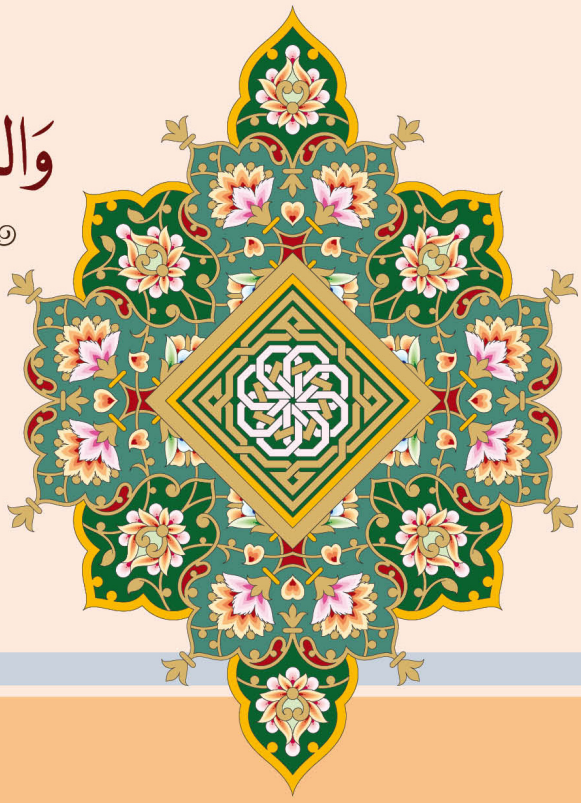

وأثر خلط المذاهب بينهما
في تغيير دين الإسلام
وتفريق جماعة المسلمين

تأليف
محمد بن أحمد بن محمد العمادي

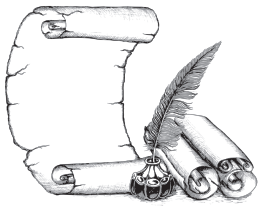

سلسلة تحرير دين الإسلام من احتلال المذاهب وأصحاب الكلام

الفِقه

الَّذِي أمَرَ اللهُ بِهِ
وَالفِقهُ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ

حقوق الطبع لكل مسلم أراد طبعه ونشره وتوزيعه
بدون حذف أو إضافة أو تغيير
00966504737304

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢٢٥٦٨م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6827-17-2

موزع معتمد

للطباع والنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - الإسكندرية
+201220482504
+201003225280
e-mail: prdise2030@gmail.com

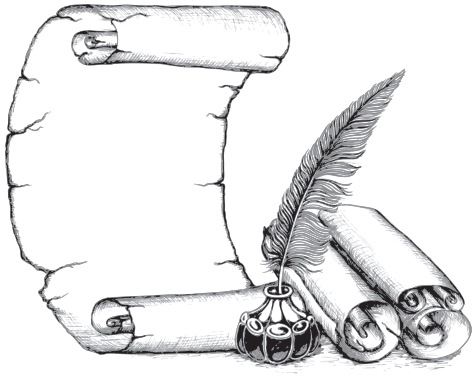

سلسلة تحرير دين الإسلام من احتلال المذاهب وأصحاب الكلام

الفقه

الذي أمر الله به
والفقه الذي نهى الله عنه

وأثر خلط المذاهب بينهما
في تغيير دين الإسلام
وتفريق جماعة المسلمين

تأليف

محمد بن أحمد بن محمد العماري

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ البَيَانَ، وَالْصَّلاَةُ، وَالْسَّلاَمُ عَلَى الَّذِي لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَى. أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدِيْثُنَا إِلَيْكُمْ عَنْ أَسْبَاب تَغْيِيرِ[1] دِينِ الإِسْلاَمِ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ المُشْكِلَةِ يُعِينُ عَلَى حَلِّهَا.

وَقَد أَدْرَكَ المُسْلِمُونَ تَغْيِيرَ دِينِ الإِسْلاَمِ، وَتَفْرِيقَ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَاجْتَهَدُوا فِي الحَلِّ، وَغَفَلُوا عَنْ مَعْرِفَةِ المُشْكِلَة، فَلَم يَصِلُوا إِلَى حَلِّهَا.

فَمِنْهُم: مَنْ رَأَى أَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ، وَجَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ عِنْدَ شَخْصٍ، فَاجْتَهَدَ فِي تَوْجِيهِ النَّاسِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ، لِحَلِّ مُشْكِلَةِ التَّغْيِيرِ وَالافْتِرَاقِ، وَهَذِهِ هِي الحِزْبِيَّةُ.

وَمِنْهُم: مَنْ رَأَى أَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ، وَجَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ عِنْدَ طَائِفَةٍ، فَاجْتَهَدَ فِي تَوْجِيهِ النَّاسِ إِلَى تِلْكَ الطَّائِفَةِ؛ لِحَلِّ المُشْكِلَةِ، وَهَذِهِ هِي الطَّائِفِيَّةُ.

وَمِنْهُم: مَنْ رَأَى أَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ، وَجَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ عِنْدَ مَذْهَبٍ، فَاجْتَهَدَ فِي تَوْجِيهِ النَّاسِ إِلَى ذَلِكَ المَذْهَبِ؛ لِحَلِّ المُشْكِلَةِ، وَهَذِهِ هِيَ المَذْهَبِيَّةُ.

---

(١) **أَوْجُهُ تَغْيِيرِ دِيْنِ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةُ أَوْجُهٍ:**
الوَجْهُ الأَوَّلُ: تَحْلِيلُ الحَرَامِ.
الوَجْهُ الثَّانِي: تَحْرِيمُ الحَلاَلِ.
الوَجْهُ الثَّالِثُ: الخَلْطُ بَيْنَ الحَلاَلِ، وَالحَرَامِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثُ قَوَاعِدَ: وَهِيَ الحِزْبِيَّةُ، وَالطَّائِفِيَّةُ، وَالمَذْهَبِيَّةُ هِيَ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ تَغْيِيرَ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقَ جَمَاعَتِهِمْ، فَلَا تَجِدُ بَاطِلًا، إِلَّا وَيَتَبَنَّاهُ حَزِبٌ، وَطَائِفَةٌ، وَمَذْهَبٌ.

فَمَنْ أَرَادَ حِمَايَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَغْيِيرِ دِينِهِمْ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ، فَلْيَضْرِبْ[1] هَذِهِ القَوَاعِدَ الثَّلَاثَ، لِيُسْقِطَ كُلَّ مَا بُنِيَ عَلَيْهَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦].

وَسَوْفَ نُحَدِّدُ الْمَشَاكِلَ، بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَحَلَّهَا بِهِمَا.

فَالْمُشْكِلَةُ الأُولَى: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ خَلَطُوا فِي الفِقْهِ فِي الدِّينِ، بَيْنَ طَرِيقَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَرِيقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ[2] الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

---

(١) **وَقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ قَصْفُ هَذِهِ القَوَاعِدِ الثَّلَاثِ:** بِثَلَاثَةِ كُتُبٍ جَعَلَهَا اللهُ صَائِبَةً، نَافِعَةً لِي، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، **وَهِيَ:**

الحِزْبِيَّةُ، وَأَثَرُهَا فِي تَغْيِيرِ دِيْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ.

وَالطَّائِفِيَّةُ، وَأَثَرُهَا فِي تَغْيِيرِ دِيْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ.

وَالمَذَاهِبُ، وَأَثَرُهَا فِي تَغْيِيرِ دِيْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ.

(٢) **أَهْلُ الكِتَابِ قِسْمَانِ:**

قِسْمٌ: مُسْلِمٌ مُتَّبِعٌ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، لَمْ يُغَيِّرْ، وَلَمْ يُبَدِّلْ، وَهُمُ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ القَصَصِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٢-٥٤].

وَقِسْمٌ: مُسْلِمٌ مُبْتَدِعٌ، غَيَّرَ، وَبَدَّلَ، حَتَّى وَصَلَتْ بِهِمُ البِدْعَةُ إِلَى الكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَهُمُ الَّذِينَ كَفَّرَهُمُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]. =

وَلَمْ يُفَرِّقوا بَيْنَ أَنْوَاعِ الفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَطُرُقِهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، وَالَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا.

والسَّبَبُ: أنَّ كِتَابَةَ عُلُومِ الإِسْلَامِ، وَتَدْوِينَهَا؛ كَانَتْ بَعْدَ وِلَادَةِ المَذَاهِبِ، وَبَعْثَةِ الرَّأْيِ الَّذِي قَتَلَهُ الإِسْلَامُ، وَأَحْيَتْهُ المَذَاهِبُ، وَغَذَّتْهُ الفَلَاسِفَةُ.

وَسَوْفَ نَتَحَدَّثُ: عَنِ تَعْرِيفِ الفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَأَبْوَابِهِ، وَأَنْوَاعِهِ، وَطُرُقِهِ[1]، وَطَرَائِقِهِ، وَأَئِمَّتِهِ، وَطُلَّابِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَأَتْبَاعِهِ.

لِيَخْتَارَ الطَّالِبُ: نَوْعَ الفِقْهِ الَّذِي أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، وَالطَّرِيقَ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَهُ، وَالفَقِيهَ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ، لِتَدْرِيسِهِ.

= وَلَا يَسْتَوِي المُسْلِمُ المُتَّبِعُ، وَالمُسْلِمُ المُبْتَدِعُ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وَقَدِ اتَّبَعَ المُبْتَدِعَةُ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ، طَرِيقَةَ المُبْتَدِعَةِ، مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ، وَالإِنْجِيلِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(١) **الْفَرْقُ بَيْنَ الطَّرِيقِ، وَالطَّرِيقَةِ:** أَنَّ الطَّرِيقَ هُوَ الَّذِي تَمْشِي فِيهِ، وَالطَّرِيقَةَ هِيَ مَا تَعْمَلُهُ فِي الطَّرِيقِ.

أَبْوَابُ: تَعْرِيفِه فِي لِسَانِ[1]

الْكِتَاب، وَالسُّنَّة، وَالشَّرِيعَةِ[2]

بَابٌ: تَعْرِيفُ الفِقْهِ فِي لِسَانِ الْكِتَاب، وَالسُّنَّة

هُوَ اسْمٌ لِلْعِلْمِ، وَالْفَهْمِ، سَمَّاهُ اللهُ، وَرَسُولُهُ بِهِ.

---

(١) تَمَّ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بِالكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، اسْتِبْدَالُ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ، بِالمَعْنَى فِي لِسَانِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، لِرَبْطِ النَّاسِ بِهِمَا، بَدَلًا مِنْ رَبْطِهِمْ بِعُلَمَاءِ اللُّغَةِ.

وَالكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ هُمَا قَامُوسُ مَنْ لَا قَامُوسَ لَهُ، وَمِنْهُمَا تُؤْخَذُ جَمِيعُ قَوَامِيسِ اللُّغَةِ، وَعَلَيهِمَا تُبْنَى؛ لِأَنَّ اللهَ لَمَّا تَحَدَّثَ مَعَ العَرَبِ تَحَدَّثَ مَعَهُمْ بِلُغَتِهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ بِلُغَتِهِمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨].

وَتَكَفَّلَ لَنَا بِحِفْظِ حَدِيثِهِ مَعَهُمْ بِاللَّفْظِ وَالمَعْنَى إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الحِجْرِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ المَعَانِي فِي اللُّغَةِ غَضَّةً طَرِيَّةً عَلَيْهَا ضَمَانٌ مِنَ النِّسْبَةِ لِغَيْرِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فَعَلَيْهِ بِالكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ [طه:١٢٣].

(٢) تَمَّ عَلَى طَرِيقَةِ تَفْسِيرِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بِالكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، اسْتِبْدَالُ المَعْنَى فِي اصْطِلَاحِ العُلَمَاءِ؛ بِالمَعْنَى فِي شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ، إِذَا كَانَ المَعْنَى وَاحِدًا فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ.

فَإِنْ كَانَ المَعْنَى خَاصًّا بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُقَالُ: المَعْنَى فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِرَبْطِ المُسْلِمِينَ بِالكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، فِي التَّعَارِيفِ لِأَخْذِ ضَمَانٍ مِنْهُمَا عَلَى صِحَّةِ التَّعْرِيفِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ [طه:١٢٣].

وَإِذَا اصْطَلَحَ العُلَمَاءُ، فَلْيَصْطَلِحُوا عَلَى المَعْنَى الشَّرْعِيِّ؛ إِذْ بِهِ الإِيْمَانُ، وَعَلَيْهِ العَمَلُ.

فَاللهُ سَمَّى: الْعِلْمَ، وَالْفَهْمَ، بِالْفِقْهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ (١) فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢].

والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّى: الْعِلْمَ، وَالْفَهْمَ، بِالْفِقْهِ؛ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢) وَمُسْلِمٌ (٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤) وَمُسْلِمٌ (٥).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ (٦) اللهُ

---

(١) واللهُ يَقُولُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ، وَلَا يَفْهَمُ: لَا يَفْقَهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَشْرِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١٣].

وَيَقُولُ لِمَن لَا يَفْهَمُونَ: لَا يَفْقَهُونَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الكَهْفِ: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف:٩٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الفتح:١٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ حِكَايَةً لِقَوْلِ قَوْمِ شُعَيبٍ: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١].

(٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ بَابُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بَابُ النَّهْيِ عَنِ المَسْأَلَةِ.

(٤) صَحِيحُ البُخَارِي بَابُ قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ اليَمَنِ.

(٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ، وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ.

(٦) نَضَّرَ -بِالضَّادِ بِدُونِ عَصًا- مَعْنَاهَا: حَسَّنَ وَجَمَّلَ وَنَعَّمَ وَأَضَاءَ. =

امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١) والتِّرْمِذِيُّ(٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَيَقُولُ: لِمَنْ تَعَلَّمَ، وَعَلَّمَ، فَقُهَ؛ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ لِلْعَالِمِ الْفَقِيهِ بِالْمَطَرِ الَّذِي انْتَفَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَالنَّاسُ: فَقَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣) ومُسْلِمٌ(٤).

= فاللهُ يَقُولُ: لِلْوَجْهِ الحَسَنِ، الجَمِيلِ، المُنَعَّمِ، المُضِيءِ نَضَّرَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]، وَيَقُولُ لِمَنْ أَعْطَاهُ حُسْنًا، وَجَمَالًا، وَإِضَاءَةً: لَقَّاهُ نَضْرَةً؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الإِنْسَانِ: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ [الإنسان:١١]. وَيَقُولُ لِمَن ظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ النِّعْمَةِ: نَضْرَةُ النَّعْمَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤].

وَنَاظِرَةٌ بِالظَّاءِ مَعْنَاهَا: مُطَالِعَةٌ وَمُشَاهِدَةٌ، تَرَى اللهَ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ قَالَ اللهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣].

وَقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

وَنَظَرَ مَعْنَاهَا: طَالَعَ، وَشَاهَدَ؛ قَالَ اللهُ: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [التوبة:١٢٧].

وَقَالَ اللهُ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات:٨٨].

وَانْظُرْ مَعْنَاهَا: طَالَعَ، وَشَاهَدَ؛ قَالَ اللهُ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البقرة:٢٥٩]. وَقَالَ اللهُ: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩].

وَتَنْظُرُونَ مَعْنَاهَا: تَرَوْنَ، وَتُشَاهِدُونَ؛ قَالَ اللهُ: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠].

(١) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ بَابُ فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ.
(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.
(٣) صَحِيحُ البُخَارِيِّ بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ.
(٤) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ.

بَابُ: تَعْرِيفِ الفِقْهِ فِي شَرِيعَةِ المُسْلِمِينَ، وَشَرِيعَةِ المُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ[1] المُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

الفِقْهُ فِي شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ: هُوَ الْعِلْمُ، بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَاتِّبَاعُهُ فِي التَّحْلِيلِ[2] وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالاسْتِدْلَالِ، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩].

وقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي المَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ لِلْعَالِمِ الفَقِيهِ بِالمَطَرِ الَّذِي انْتَفَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَالنَّاسُ: فَقَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[3] وَمُسْلِمٌ[4].

---

(١) **قَاعِدَةٌ:** لَا تَجِدُ مُسْلِمًا مُبْتَدِعًا، إِلَّا وَقَدْ قَلَّدَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِينِهِمْ؛ ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التوبة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

(٢) **الحَلَالُ:** اسْمٌ لِمَا أَحَلَّهُ اللهُ مِنَ العَقَائِدِ، وَالأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا.
وَالحَرَامُ: اسْمٌ لِمَا حَرَّمَهُ اللهُ مِنَ العَقَائِدِ، وَالأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا.

(٣) صَحِيحُ البُخَارِيِّ بَابُ: فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ.

(٤) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بَابُ: بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الهُدَى وَالْعِلْمِ.

وَالْفِقْهُ: فِي شَرِيعَةِ الْمُشْرِكِينَ: هُوَ تَقْلِيدُ، أَقْوَالِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَأَفْعَالِ الْأَشْخَاصِ الْمُرَبِّينَ[1]، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالاسْتِدْلَالُ بِهَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[2] وَمُسْلِمٌ[3].

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «**وَيُشَرِّكَانِهِ**».

فَمَنْ قَلَّدَ أَقْوَالَ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَأَفْعَالَ الْأَشْخَاصِ الْمُرَبِّينَ، وَعَمِلَ بِهَا، وَاسْتَدَلَّ فَقَدِ اتَّبَعَ شَرِيعَةَ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وَالْفِقْهُ: فِي شَرِيعَةِ مُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: هُوَ تَقْلِيدُ، أَقْوَالِ، الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ الْعُبَّادِ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، والاسْتِدْلَالُ بِهِمْ؛

---

(١) اخْتِيرَ لَفْظُ الْمُرَبِّينَ بَدَلًا مِنَ الآبَاءِ لِأَنَّ الآبَاءَ مُرَبُّونَ، وَلَفْظُ الْمُرَبِّي، يَشْمَلُ: الْمُرَبِّينَ مِنَ الآبَاءِ، وَالْمُرَبِّينَ مِنْ غَيْرِ الآبَاءِ كَالْمُعَلِّمِينَ، فَقَدْ يُهَوِّدُ الوَلَدَ، وَيُنَصِّرُهُ، وَيُمَجِّسُهُ، الْمُعَلِّمُ.

(٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ بَابُ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾..

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بَابُ مَعْنَى: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».

قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

فَمَنْ قَلَّدَ مَا قَالَهُ، الْعُلَمَاءُ، وَفَعَلَهُ الْعُبَّادُ، وَعَمِلَ بِهِ، وَاسْتَدَلَّ فَقَدِ اتَّبَعَ شَرِيعَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُحَرَّفَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

ودخل في جحر الضب؛عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

بَابُ: مَرَاتِبِ حَمَلَةِ الْفِقْهِ

لِحَمَلَةِ الْفِقْهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

المَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْعَالِمُ الْفَقِيهُ؛ وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ الدَّلِيلَ، وَيَعْرِفُ مَعْنَاهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١) وَالتِّرْمِذِيُّ(٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ لِلْعَالِمِ الْفَقِيهِ بِالْمَطَرِ الَّذِي انْتَفَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَالنَّاسُ: فَقَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣) وَمُسْلِمٌ(٤).

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَالِمُ الَّذِي لَيْسَ بِفَقِيهٍ؛ وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ الدَّلِيلَ، وَلَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

---

(١) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، بَابُ: فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ.
(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.
(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ.
(٤) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْفَقِيهُ الجَاهِلُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَحْفَظُ الدَّلِيلَ، وَيَعْمَلُ، وَيُفْتِي بِرَأْيِهِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ؛ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

بِرَأْيِهِمْ: مَعْنَاهُ بِعُقُولِهِمْ.

لِأَنَّ الرَّأْيَ هُوَ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ بِلَا دَلِيلٍ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

وَالرَّأْيُ: هُوَ كُلُّ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ بِعَيْنِهِ، وَقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ.

فَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ: فَهُوَ الْمُشَاهَدَةُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران:١٣].

وَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِقَلْبِهِ: فَهُوَ الْعِلْمُ، وَالاعْتِقَادُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١].

وَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِعَقْلِهِ: فَهُوَ الفِكْرُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩].

فَالرَّأْيُ: هُوَ مَا يَقُولُهُ الْإِنْسَانُ عَمَّا رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ، وَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلصَّوَابِ، وَالخَطَأِ، وَلِذَا لَا يُقْبَلُ الْعَقْلُ فِي الدِّينِ.

فَالدِّينُ: لَا يُعْرَفُ بِمَا رَآهُ الْعَالِمُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِمَا رَآهُ الْعَالِمُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦].

وَالرَّأْيُ: اسْمٌ لِلْقَوْلِ، وَالْعَقْلِ، وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ، وَالاعْتِقَادِ.

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

فَقَوْلُ الشَّخْصِ يُسَمَّى رَأْيًا؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَقْلُ الشَّخْصِ: يُسَمَّى رَأْيًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ هُودٍ حِكَايَةً لِقَوْلِ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَنِ الْفِكْرِ، وَالْعَقْلِ الظَّاهِرِ الْبَسِيطِ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧].

وَالْفَتْوَى بِالْعَقْلِ، تُسَمَّى فَتْوًى(٢) بِالرَّأْيِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: فَضْلِ الفَقْرِ.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ حَدَّثَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَوَضَعُوا الرَّأْيَ فَضَلُّوا**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَاتَّهِمْ رَأْيَكَ: مَعْنَاهُ اتَّهِمْ عَقْلَكَ؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَرَدَدْتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَبِالرَّأْيِ: مَعْنَاهُ بِالْعَقْلِ؛ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِم فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

وَعِلْمُ الشَّخْصِ، وَاعْتِقَادُهُ، يُسَمَّى رَأْيًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]. مَا أَعْلَمُ، وَأَعْتَقِدُ.

وَاللهُ يَقُولُ لِمَنْ يَعْلَمُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦].

وَيَقُولُ لِمَنْ يُشَاهِدُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم:١٢].

وَيَقُولُ لِمَنْ يَعْلَمُ، وَيُشَاهِدُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ البقرة: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٥].

(١) صَحِيحُ البُخَارِي، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

بَابُ: الْوَظَائِفِ الَّتِي كَلَّفَ اللهُ بِهَا الْعَالِمَ، وَالْفَقِيهَ، وَالْوَظَائِفِ الَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ

فَأَمَّا الْوَظَائِفُ الَّتِي كَلَّفَهُ اللهُ بِهَا فَسَبْعُ وَظَائِفَ كُلُّهَا تَكْلِيفٌ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، فَكَلَّفَهُ بِالْعَمَلِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَحِفْظِهِمَا، وَدِرَاسَتِهِمَا، وَتَعْلِيمِهِمَا، وَبَيَانِهِمَا، وَالْفَتْوَى، وَالْاسْتِدْلَالِ بِهِمَا.

الْوَظِيفَةُ الأُولَى: تَعَلُّمُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦].

فَمَنْ تَعَلَّمَ: الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، عَلَّمَ الطُّلَّابَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ: الرأي عَلَّمَ الطُّلَّابَ الرَّأْيَ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ: الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ، عَلَّمَ الطُّلَّابَ، الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ.

الْوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: حِفْظُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ:

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١) وَالتِّرْمِذِيُّ(٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

فَمَنْ حَفِظَ: الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، حَفَّظَ الطُّلَّابَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ.

وَمَنْ حَفِظَ: الرَّأْيَ، حَفَّظَ الطُّلَّابَ الرَّأْيَ.

وَمَنْ حَفِظَ: الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ، حَفَّظَ الطُّلَّابَ الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ.

الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ: الْعَمَلُ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الإسراء: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

فَمَنْ عَمِلَ: بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، عَلَّمَ الطُّلَّابَ الْعَمَلَ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

(١) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، بَابُ: فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ.
(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.
(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

وَمَنْ عَمِلَ: بِالرَّأْيِ عَلَّمَ الطُّلَّابَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ.

وَمَنْ عَمِلَ: بِالخَلْطِ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ، عَلَّمَ الطُّلَّابَ، الخَلْطَ فِي الْعَمَلِ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ.

الْوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ: دِرَاسَةُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَعْلِيمُهُمَا لِلنَّاسِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَّهَ مَنْ تَعَلَّمَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَعَلَّمَهُمَا، بِالمَطَرِ الَّذِي انْتَفَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَالنَّاسُ، فَقَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

فَمَنْ دَرَسَ: الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، دَرَّسَ الطُّلَّابَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ.

وَمَنْ دَرَسَ: الرَّأْيَ دَرَّسَ الطُّلَّابَ الرَّأْيَ.

وَمَنْ دَرَسَ: الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ.، دَرَّسَ الطُّلَّابَ، الخَلْطَ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ.

الْوَظِيفَةُ الخَامِسَةُ: سُؤَالُهُ عَنِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فَمَنْ وُجِّهَ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، سَأَلَ عَنِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

وَمَنْ وُجِّهَ لِلسُّؤَالِ عَنِ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ سَأَلَ عَنْ آرَائِهِمْ.

---

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الهُدَى وَالْعِلْمِ.

وَمَنْ وُجِّهَ لِلْخَلْطِ فِي السُّؤَالِ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَآرَاءِ الْعُلَمَاءِ، خَلَطَ فِي السُّؤَالِ بَيْنَ الْوَحْيِ، وَرَأْيِ الْعُلَمَاءِ.

الْوَظِيفَةُ السَّادِسَةُ: جَوَابُهُ لِلسَّائِلِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

فَمَنْ حَفِظَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَعَمِلَ بِهِمَا، وَدَرَسَهُمَا أَفْتَى بِهِمَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ. فَقَالَ الخَصْمُ الآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ وَائْذَنْ لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ**». قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا[1] عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ؛ فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**». قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَتْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[2] وَمُسْلِمٌ[3].

فَمَنْ تَعَلَّمَ: الْفَتْوَى، وَالْحُكْمَ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، أَفْتَى، وَحَكَمَ، بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَعَلَّمَ الطُّلَّابَ الْفَتْوَى بِهِمَا.

وَمَنْ تَعَلَّمَ: الْفَتْوَى، وَالْحُكْمَ، بِالرَّأْيِ أَفْتَى، وَحَكَمَ، بِالرَّأْيِ، وَعَلَّمَ الطُّلَّابَ الْفَتْوَى بِالرَّأْيِ.

---

(١) **العَسِيفُ:** هُوَ الأَجِيرُ.

(٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، (بَابُ: الِاعْتِرَافِ بِالزِّنَا).

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، (بَابُ: مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ).

وَمَنْ تَعَلَّمَ: الخَلْطَ فِي الْفَتْوَى، وَالحُكْمَ، بَيْنَ الْوَحْيِ، وَالرَّأْيِ، خَلَطَ، وَعَلَّمَ الطُّلَّابَ الخَلْطَ.

الْوَظِيفَةُ السَّابِعَةُ: بَيَانُ مَا بَيَّنَهُ اللهُ، وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ لِلنَّاسِ(١)؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

فَمَنْ عَرَفَ بَيَانَ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُبَيِّنْ بِغَيْرِهِ.

---

(١) **سُؤَالٌ: هَلِ الصَّحَابَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمُ الَّذِينَ بَيَّنُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؟ أَمْ هُمُ الَّذِينَ بَيَّنَ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ:

نَسْتَمِعُ الآنَ الإِجَابَةَ مِنَ اللهِ فَقَدْ أَجَابَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ القِيَامَةِ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥].

وَكَلَّفَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَفْسِيرِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَشَرْحِهِمَا وَبَيَانِهِمَا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الجُمُعَةِ فَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

وَتِلْكَ مِنَّةٌ مَنَّهَا اللهُ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وَفَائِدَةُ السُّؤَالِ: أَنَّ الْمُبَيِّنَ هُوَ الَّذِي يُقَدَّمُ عَلَى الْمُبَيَّنِ لَهُ إِذَا اخْتَلَفَ بَيَانُهُمَا.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ البَيَانَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ الصَّحَابَةَ وَالعُلَمَاءَ؛ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ إِنَّمَا هُوَ بَلَاغٌ لِبَيَانِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لَا أَنْ يُؤْتَى بِبَيَانٍ مُخَالِفٍ لِبَيَانِهِمَا.

أَوْ أَنْ يُعَارَضَ بَيَانُهُمَا بِبَيَانِ غَيْرِهِمَا، أَوْ أَنْ يُكْتَفَى عَنْ بَيَانِهِمَا بِبَيَانِ غَيْرِهِمَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ ابْنِي زَنَى فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

فَمَنْ تَعَلَّمَ: بَيَانَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَفْسِيرَهُمَا بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بَيَّنَهُمَا، وَفَسَّرَهُمَا لِلطُّلَّابِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ: بَيَانَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَفْسِيرَهُمَا بِآرَاءِ الْعُلَمَاءِ، بَيَّنَهُمَا، وَفَسَّرَهُمَا لِلطُّلَّابِ، بِآرَاءِ الْعُلَمَاءِ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ: بَيَانَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَفْسِيرَهُمَا بِالخَلْطِ بَيْنَ الْوَحِي، وَالرَّأْيِ، بَيَّنَهُمَا، وَفَسَّرَهُمَا بِالخَلْطِ، وَعَلَّمَ الطُّلَّابَ الخَلْطَ.

فَهَذِهِ سَبْعُ وَظَائِفَ، لِلْعُلَمَاءِ فِي الإِسْلَامِ لَمْ يُؤْمَرُوا فِيهَا بِغَيْرِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، فِي الحِفْظِ، وَالدِّرَاسَةِ، وَالتَّعْلِيمِ، وَالبَيَانِ، وَالْفَتْوَى، وَالاسْتِدْلَالِ.

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: الاِعْتِرَافِ بِالزِّنَا.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ.

فصـــل

وَأَمَّا الْوَظَائِفُ الَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَعَلَى سُنَّتِهِم؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩].

فَبَدَّلُوا الْعَمَلَ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بِالْعَمَلِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ الْعُبَّادِ.

وَبَدَّلُوا حِفْظَ الْكِتَاب، وَالسُّنَّةِ، بِحِفْظِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ العُبَّادِ.

وَبَدَّلُوا دِرَاسَةَ الْكِتَاب، وَالسُّنَّة، بِدِرَاسَةِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ العُبَّادِ.

وَبَدَّلُوا تَعْلِيمَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بِتَعْلِيمِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ العُبَّادِ.

وَبَدَّلُوا بَيَانَ اللهِ، وَرَسُولِهِ لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّة، بِبَيَانِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَأَفْعَالِ العُبَّادِ.

وَبَدَّلُوا تَفْسِيرَ اللهِ، وَرَسُولِهِ لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّة، بتفسير الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ.

وَبَدَّلُوا الْفَتْوَى بالكتاب، وَالسُّنَّة، وَالْاسْتِدْلَالِ بِهِمَا، بالفتوى بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ، وَالْاسْتِدْلَالِ بِهَا، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ مَذَاهِبَ الْأَشْخَاصِ إِذِ اسْتَبْدَلُوا مَا كَتَبَهُ اللهُ، بِمَا كَتَبَهُ الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩].

وَاسْتَبْدَلُوا مَا قَالَهُ اللهُ، بِمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا

هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٨].

وَتَعَامَلُوا مَعَ كِتَابِ اللهِ، كَأَنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [البقرة:١٠١-١٠٢].

ثُمَّ قَامَ أَتْبَاعُ الْمَذَاهِبِ، فَخَلَطُوا بَيْنَ الْوَظَائِفِ الَّتِي كَلَّفَ اللهُ بِهَا الْعَالِمَ، وَبَيْنَ الْوَظَائِفِ الَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْتَبَسَ عَلَى الْعُلَمَاءِ دِينُهُمْ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

بَابُ: أَبْوَابِ التَّعَلُّم

لِلتَّعَلُّم أَرْبَعةُ أَبْوَابٍ: تَفْتَحُ عَلَى عِلْمِ الْوَحْيِ، وَعِلْمِ الرَّأْيِ؛ وَهِيَ: الْقَلْبُ، وَالْعَقْلُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ. فَلَا تَسْمَحْ بِإِغْلَاقِهَا[1] عَنِ التَّعَلُّمِ فَتَنْدَمْ،قَالَ اللهُ فِي سُوْرَةِ الملكِ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

وَاسْمَحْ بِفَتْحِهَا لِعِلْمِ الْوَحْيِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُوْرَةِ طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

وَلَا تَسْمَحْ بِفَتْحِهَا لِعِلْمِ الرَّأْيِ، وَالهوى؛ قَالَ اللهُ فِي سُوْرَةِ النجم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

فَالْإِنْسَانُ: يَتَعَلَّمُ، وَيَفْهَمُ، عَنْ طَرِيقِ عَقْلِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، بِوَاسِطَةِ قَلْبِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

فَبِدُونِ الْقَلْبِ: لَا تَعْمَلُ الحَوَاسُّ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام:٢٥].

---

(١) من أغلقها بسبب التقليد،ودعوى غلق باب الإجتهاد ندم؛ قال الله في سورة الملك: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

وَبِدُونِ الْقَلْبِ: لَا يُفَكِّرُ الْعَقْلُ، وَلَا يَتَدَبَّرُ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَعَانِي؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ محمد: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

وَالْإِنْسَانُ بِدُونِ الْقَلْبِ: لَا يَعْقِلُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحج: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:٤٦].

وَلَا يَعْلَمُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٩٣].

وَلَا يَفْهَمُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقُونَ: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٣].

وَلَا يُبْصِرُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحَجِّ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦].

وَلَا يَسْمَعُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٠].

فَالْقَلْبُ: وِعَاءُ الْعِلْمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٩٧].

وَلِأَخْذِ الْعِلْمِ يُصْغَى الْقَلْبُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ[1] قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم:٤].

---

(١) صَغَتْ في كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معناها مالت والله يقول: في حديثه في القرآن لمن يميل إلى الصوت ليسمعه يصغي؛ قال الله في سورة الأنعام: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [الأنعام:١١٣]. =

فَأَبْوَابُ: التَّعَلُّم، وَهِيَ الْقَلْبُ، وَالْعَقْلُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، مَنَ فَتَحَهَا عَلَى مَا رَآهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَلَّمَ اتِّبَاعَ الْوَحْيِ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ:٦].

وَمَنْ فَتَحَهَا: عَلَى مَا رَآهُ بِقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ بِلَا دَلِيلٍ، تَعَلَّمَ اتِّبَاعَ الهَوَى بِلَا عِلْمٍ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الروم:٢٩].

وَمَنْ فَتَحَهَا: عَلَى مَا رَآهُ الأَشْخَاصُ بِعُقُولِهِمْ، وَقُلُوبِهِمْ بِلَا دَلِيلٍ، تَعَلَّمَ التَّقْلِيدَ، وَرَدَّ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤](١).

= والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لمن أمال عنقه للصوت ليسمعه أصغى؛ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ينفخ في الصور فلايسمعه أحد إلا أصغى**» رواه مسلم.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصغي إلى رأسه فأرجله وأنا حائض. رواه البخاري، أرجله: أمشطه.

(١) **فَائِدَةٌ لِلْقِرَاءَةِ:** لَقَدْ أَغْلَقَ أَبْوَابَ التَّعَلُّمِ عَنِ الوَحْيِ: المُشْرِكُونَ، وَقَلَّدَهُمْ مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَالْفَلَاسِفَةِ، وَأَهْلِ الكَلَامِ، وَأَتْبَاعِ المَذَاهِبِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَحْقَافِ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٦].

وَحُجَّةُ المُشْرِكِينَ: بِالأَمْسِ هِيَ حُجَّةُ الْمُسْلِمِينَ اليَوْمَ، أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُجْتَهِدِينَ، حَتَّى يَسْلُكُوا طُرُقَ الاجْتِهَادِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

وَيَقُولُونَ: إِنَّا نَحْنُ مُقَلِّدُونَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٥٣]. =

= وقَالَ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٧٤].
وقَالَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ [الأعراف:٢٨].
وَحُجَّةُ مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ: هِيَ التَّقْلِيدُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].
وَحُجَّةُ أَتْبَاعُ الْمَذَاهِبِ: هِيَ التَّقْلِيدُ، تَقْلِيدُ العَالِمِ لِلإِمَامِ الْمُجْتَهِدِ، وَالْعَامِّيِّ لِلْمُفْتِي، بِدَلِيلِ التَّعْلِيلِ، الْمُخَالِفِ لِلدَّلِيلِ؛ وَهُوَ أَنَّ بَابَ الاجْتِهَادِ قَدْ أُغْلِقَ، وَيَجِبُ إِغْلَاقُهُ؛ لِأَنَّنَا لَوْ تَرَكْنَا بَابَ الاجْتِهَادِ مَفْتُوحًا لَدَخَلَ مِنْهُ مَنْ لَيْسَ بِمُجْتَهِدٍ.
فَأَغْلَقُوا الأَبْوَابَ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ، بِمُجَرَّدِ دَعْوَى لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا أَيَّ دَلِيلٍ، مِنَ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بَلْ عَارَضُوا بِهَا الكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ. وَجَعَلُوا التَّعْلِيلَ الْمُخَالِفَ لِلدَّلِيلِ دَلِيلًا، وَالتَّعْلِيلُ لَيْسَ دَلِيلًا، فَكَيْفَ إِذَا خَالَفَ الدَّلِيلَ؟!
وَحُجَّةُ: الفَلَاسِفَةِ، وَطُلَّابِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الكَلَامِ: أَنَّ العَقْلَ يُغْنِي عَنِ الوَحْيِ.
وَغَفَلُوا أَنَّ العَقْلَ لَا يُدْرِكُ شَيْئًا بِنَفْسِهِ، بَلْ يَحْتَاجُ لِوَاسِطَةٍ لِلإِدْرَاكِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ، أَوِ الشَّهَادَةِ. فَالْعَقْلُ: بَابٌ فَتَحَهُ اللهُ لِلتَّفْكِيرِ، وَالتَّدَبُّرِ، وَمَعْرِفَةِ المَعَانِي، وَمَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى وَاسِطَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، خِلَافًا لِمَا يَدَّعِيهِ الفَلَاسِفَةُ، وَطُلَّابُهُمْ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ.
فَلِلتَّعَلُّمِ، وَالتَّفْكِيرِ، وَمَعْرِفَةِ المَعَانِي يَحْتَاجُ إِلَى القَلْبِ، وَلِمَعْرِفَةِ الأَلْوَانِ يَحْتَاجُ إِلَى العَيْنِ، وَلِمَعْرِفَةِ الأَصْوَاتِ يَحْتَاجُ لِلسَّمْعِ، وَلِمَعْرِفَةِ الأَجْسَامِ يَحْتَاجُ لِلَّمْسِ، وَلِمَعْرِفَةِ الغَيْبِ يَحْتَاجُ لِلوَحْيِ.
فَالعَقْلُ لَا يَعْقِلُ، وَلَا يُفَكِّرُ، وَلَا يَعْرِفُ المَعَانِيَ بِدُونِ القَلْبِ، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحَجِّ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:٤٦].
وَلَا يَفْقَهُ؛ قَالَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٧٩].
وَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ المَحْسُوسَاتِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ القَلْبِ، وَالْعَيْنِ، وَالسَّمْعِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨].
وَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].
وَهَذَا مَا غَفَلَ عَنْهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ، طُلَّابِ الفَلَاسِفَةِ: لِأَنَّهُمُ ادَّعَوْا أَنَّ العَقْلَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ، فَخَالَفُوا الوَاقِعَ، فَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ الأَلْوَانَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْعَيْنِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا كَانَ أَعْمَى لَا يَعْرِفُ الأَلْوَانَ. =

= **وَالْعَقْلُ:** لَا يَعْرِفُ الأَصْوَاتَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ السَّمْعِ، أَلَا تَرَى أَنَّ العَاقِلَ إِذَا كَانَ أَصَمَّ، لَا يَعْرِفُ الأَصْوَاتَ.

وَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ الأَجْسَامِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ اللَّمْسِ، أَلَا تَرَى أَنَّ العَاقِلَ لَا يَعْرِفُ الأَجْسَامَ كَالحَارِّ، وَالبَارِدِ، وَالْكَبِيرِ، وَالصَّغِيرِ إِلَّا إِذَا لَمَسَهَا.

وَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ الرَّوَائِحَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الشَّمِّ، أَلَا تَرَى أَنَّ العَاقِلَ لَا يَعْرِفُ الرَّوَائِحَ إِلَّا إِذَا شَمَّهَا.

وَخَالَفُوا الوَحْيَ، فَالْعَقْلُ: لَا يَعْرِفُ الغَيْبَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢].

وَتَأَمَّلْ لَفْظَةَ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاقِلٌ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الْعَقْلَ فَهُوَ: عَيْنُ القَلْبِ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا، أَلَا تَرَى أَنَّ المَجْنُونَ لَا يَعْرِفُ الأَشْيَاءَ؛ لِأَنَّ عَيْنَ قَلْبِهِ مَفْقُوءَةٌ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحَجِّ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج٤٦].

وَالْعَقْلُ: هُوَ مِرْآةُ الحَوَاسِّ الَّتِي تَعْكِسُ لَهَا صُورَهَا، فَإِذَا انْكَسَرَتِ المِرْآةُ لَمْ تَرَ الحَوَاسُّ أَيَّ صُورَةٍ لَهَا، فَالمَجْنُونُ لَا تَرَى عَيْنُهُ الأَلْوَانَ؛ لِأَنَّ المِرْآةَ مَكْسُورَةٌ، وَالمَجْنُونُ لَا تَسْمَعُ أُذُنُهُ الأَصْوَاتَ؛ لِأَنَّ المِرْآةَ مَكْسُورَةٌ.

وَالمُصِيْبَةُ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَبَنَّوْنَ تَعْلِيمَ المُسْلِمِينَ، وَتَدْرِيسَهُمُ الْيَومَ، هُمُ الَّذِينَ أَغْلَقُوا أَبْوَابَ التَّعَلُّمِ، مِنَ الفَلَاسِفَةِ، وَأَهْلِ الْكَلَامِ، وَأَتْبَاعِ المَذَاهِبِ.

فَقَادُوا النَّاسَ إِلَى الجَهْلِ، وَالتَّقْلِيدِ، وَتَغْيِيرِ الإِسْلَامِ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

بَابُ: أَنْوَاعِ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

الْفِقْهُ فِي الدِّينِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فِقْهٌ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ[1]، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ[2]

---

(١) **السُّنَّةُ:** مَعْنَاهَا فِي لِسَانِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، الطَّرِيقَةُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح:٢٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب:٣٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٧٧].

وَالسُّنَّةُ: جَمَعَهَا اللهُ، وَرَسُولُهُ عَلَى سُنَنٍ، وَالسُّنَنُ هِيَ الطَّرَائِقُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:٢٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران:١٣٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وَأَمَّا السُّنَّةُ فِي شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ: فَهِيَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقْرِيرِيَّةُ، وَالْقَوْلِيَّةُ، وَالْفِعْلِيَّةُ فِي الاعْتِقَادِ، وَالْعَمَلِ؛ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(٢) **الدِّينُ: عِنْدَ اللهِ هُوَ الإِسْلَامُ؛** قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. =

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَّهَ مَنْ تَعَلَّمَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَعَلَّمَهُمَا، بِالْمَطَرِ الَّذِي انْتَفَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَالنَّاسُ: فَقَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

النَّوْعُ الثَّانِي: فِقْهٌ عَلَى الرَّأْيِ، وَهُوَ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

= وَلَيْسَ السَّلَفِيَّةَ، وَلَا الأَشْعَرِيَّةَ، وَلَا الصُّوفِيَّةَ، وَلَا الوَهَّابِيَّةَ، وَلَا الشِّيعِيَّةَ، وَلَا القَدْيَانِيَّةَ، وَلَا غَيْرَهَا.

وَإِنَّمَا هَذِهِ طَوائفُ:

يُعْرَفُ مَنْ كَانَ مِنْهَا عَلَى الحَقِّ بِاتِّبَاعِهِ لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ لَا بِاسْمِ طَائِفَتِهِ.

وَيُعْرَفُ مَنْ كَانَ مِنْهَا عَلَى البَاطِلِ بِمُخَالَفَتِهِ لِلْكِتَابِ،وَالسُّنَّةِ لَا بِاسْمِ طَائِفَتِهِ؛ عَنْ عبد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حسنٍ لغيرِهِ.

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الهُدَى وَالْعِلْمِ.

(٣) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

وَالرَّأْيُ: هُوَ الظَّنُّ.

وَالظَّنُّ: فَسَّرَهُ اللهُ بِالجَهْلِ، وَالشَّكِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا دَلِيلَ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

فَاللهُ فَسَّرَ الظَّنَّ بِالجَهْلِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الجَاثِيَةِ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

وَفَسَّرَ الظَّنَّ: بِالشَّكِّ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:١٥٧].

وَفَسَّرَ الظَّنَّ بِالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ بِلَا عِلْمٍ،وَلَا دَلِيلٍ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٧-٢٨].

وقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ قَوْلُ الْفَقِيهِ، وَعَمَلُهُ بِمَا رَآهُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ، لَا بِمَا رَآهُ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ [١] وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

---

(١) والظن في اللغة يختلف عن الظن في الشرع.

فالظن في الشرع اسم لكل باطل؛ فالظن في الشرع: هو الجهل، والشك، والقول، والعمل بلا علم، ولا دليل؛ قال الله في سورة النجم: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨]. =

= وبلادليل؛ قال الله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وأما الظن في اللغة فهو اسم لما هوحق، واسم لما هو باطل.

فالظن ضده اليقين؛ قال الله في سورة الجاثية حكاية لقول الكفار: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢].

والظن في لسان الكتاب، والسنة، معناه تيقن، وشك، وعلم، واعتقد، وحسب، وتوقع، وأمل.

والله في حديثه في القرآن، يقول: لمن تيقن ظن؛ قال الله في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦].

وقال في سورة الأعراف: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١].

وقال في سورة يونس: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس:٢٢].

وقال في سورة يونس: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ [يونس:٢٤].

وقال في سورة الكهف: ﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣].

وقال في سورة فصلت: ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت:٤٨].

ويقول: لمن شك ظن؛ قال الله في سورة النساء: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:١٥٧].

وقال في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

وقال في سورة الجاثية: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

وقال في سورةالحج: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:١٥].

وقال في سورة الأنعام: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦].

وقال في سورة يونس: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٣٦].

ويقول: لمن علم ظن؛ قال الله في سورة يوسف: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف:١١٠].

وقال في سورة البقرة: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣٠].

وقال في سورة الحاقة: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٠].

ويقول: لمن اعتقد ظن؛ قال الله في سورة فصلت: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٣]. =

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ؛ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ؛ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

وَالرَّأْيُ: هُوَ كُلُّ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ بِعَيْنِهِ، وَقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ.

فَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ: فَهُوَ الْمُشَاهَدَةُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران:١٣].

وَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِقَلْبِهِ: فَهُوَ الْعِلْمُ، وَالِاعْتِقَادُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١].

وَإِنْ رَأَى الشَّيْءَ بِعَقْلِهِ: فَهُوَ الْفِكْرُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩].

فَالرَّأْيُ: هُوَ مَا يَقُولُهُ الْإِنْسَانُ عَمَّا رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ، وَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلصَّوَابِ، وَالخَطَأِ، وَلِذَا لَا يُقْبَلُ الْعَقْلُ فِي الدِّينِ.

= وقال في سورة آل عمران: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].
ويقول: لمن حسب ظن؛ قال الله في سورة عافر حكاية لقول فرعون لموسى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٧].
وقال في سورة فصلت: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢].
ويقول: لمن توقع وأمل ظن؛ قال الله في سورةالنور: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].
وقال الله في سورة الصافات: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٨٧].
وقال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦].

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

فَالدِّينُ: لَا يُعْرَفُ بِمَا رَآهُ الْعَالِمُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ.

وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِمَا رَآهُ الْعَالِمُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ سبأ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ ﴾ [سبأ:٦].

ويعرف الدين بما أراه الله العالم في الْكِتَاب، وَالسُّنَّة؛ قال في سورة النساء: ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥].

وَالرَّأْيُ: اسْمٌ لِلْقَوْلِ، وَالْعَقْلِ، وَالْفِكْرِ، وَالْعِلْمِ، وَالاعْتِقَادِ.

فَقَوْلُ الشَّخْصِ: يُسَمَّى رَأْيًا؛

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَقْلُ الشَّخْصِ: يُسَمَّى رَأْيًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ هود حكاية لقول قوم شعيب عن الفكر، والعقل الظاهر البسيط: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [هود:٢٧].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: فَضْلِ الفَقْرِ.

وَالْفَتْوَى بِالْعَقْلِ، تُسَمَّى فَتْوَى[1] بِالرَّأْيِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِم فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[2].

وَعِلْمُ الشَّخْصِ، وَاعْتِقَادُهُ، يُسَمَّى رَأْيًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]. مَا أَعْلَمُ، وَأَعْتَقِدُ.

وَاللهُ يَقُولُ لِمَنْ يَعْلَمُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ حَدَّثَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَوَضَعُوا الرَّأْيَ فَضَلُّوا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَاتَّهِمْ رَأْيَكَ مَعْنَاهُ اتَّهِمْ عَقْلَكَ؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَبِالرَّأْيِ مَعْنَاهُ بِالْعَقْلِ؛ عَنْ عَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

(٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

وَيَقُولُ لِمَنْ يُشَاهِدُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النجم: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم:١٢].

وَيَقُولُ لِمَنْ يَعْلَمُ، وَيُشَاهِدُ: يَرَى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ البقرة: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ [البقرة:١٦٥].

النَّوْعُ الثَّالِثُ: فِقْهٌ خَلَطَ بَيْنَ فِقْهِ الْوَحِي الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَفِقْهِ الرَّأْيِ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَمِنْهُ الْفِقْهُ عَلَى[1] الْمَذَاهِبِ الْعَقَدِيَّةِ، وَالْعَمَلِيَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١].

---

(١) **سُؤَالٌ:** كَيْفَ تُعَمِّمُ الْمَذَاهِبَ الفِقْهِيَّةِ، أَلَيْسَ أَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ عَلَى الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؟

الجَوَابُ: لَا يُسَمَّى مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ فِي الْعَمَلِ، وَالاحْتِجَاجِ مَذَاهِبًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّى دِيْنًا؛ لِأَنَّ الأَئِمَّةَ الأَرْبَعَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مَذَاهِبُ، وَمَاتُوا وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى مَذْهَبِ شَخْصٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَإِنَّمَا كَانُوا عَلَى دِيْنِ الإِسْلَامِ، وَشَرِيْعَتِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاحْتِجَاجِهِمْ بِخِلَافِ طُلَّابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ، وَأَتْبَاعِهِمْ؛ الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ، وَالأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ مِنْ دِيْنِ الإِسْلَامِ، بِمَذَاهِبِ أَشْخَاصٍ مُعَيَّنِيْنَ وَبَدَأَ الطُّلَّابُ، فِي بِنَاءِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَصْبَحَتْ دِيْنًا يَحْرُمُ نَقْدُهَا، وَتَعَصَّبُوا لَهَا، وَخَلَطُوا فِيهَا بَيْنَ الرَّأْيِ، وَالرِّوَايَةِ فِي الْعَمَلِ، وَالاحْتِجَاجِ، وَطَوَّرُوهَا حَتَّى أَصْبَحَ الرَّأْيُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ، وَمَا زَالَتْ تُطَوَّرُ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَيُخْشَى أَنْ تَخْلُو مِنَ الرِّوَايَةِ، وَأَصْبَحَ كُلُّ طَالِبٍ؛ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَذْهَبَ الشَّخْصِ الَّذِي يُسَمِّيهِ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ؛ وَكَانَ يُغْنِيهِم عَنِ الْمَذَاهِبِ، مَا أَغْنَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْسَمَ لَيَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ وَبَرَّ بِقَسَمِهِ.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: الْفِقْهُ عَلَى الهَوَى.

وَهُوَ اتِّبَاعُ الهَوَى فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاحْتِجَاجِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الجَاثِيَةِ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

وَالْفِقْهُ عَلَى الهَوَى: يَقُومُ عَلَى الجَهْلِ، لَا الْعِلْمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم:٢٩].

وَأَصْحَابُ الْفِقْهِ عَلَى الهَوَى: هُمُ الَّذِينَ لَا دِينَ لَهُمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ القصص: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وأَتْبَاعُ الْفِقْهِ عَلَى الهَوَى: هُمْ عُبَّادُ الشَّهَوَاتِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَأَئِمَّتُهُ، وَدُعَاتُهُ، هُمْ كُلُّ مُتَّبَعٍ لِشَهْوَتِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

وَدَعْوَتُهُمْ صَرْفُ النَّاسِ عَنْ التَّدَيُّنِ الصَّحِيحِ، وَإِغْرَاقُهُمْ فِي الشَّهَوَاتِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١].

وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ أَضَلُّوهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

بَابُ: طُرُقِ الْفِقْهِ

طُرُقُ الْفِقْهِ: أَرْبَعَةُ طُرُقٍ؛ وَاحِدٌ أَمَرَ اللهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَثَلَاثَةٌ نَهَى اللهُ عَنِ اتِّبَاعِهَا.

الطَّرِيقُ الْأَوَّلُ: طَرِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

طَرِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَهُ اللهُ بِاتِّبَاعِ وَحْيِ رَبِّهِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاحْتِجَاجِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَّبِعْ غَيْرَ طَرِيقِ الْوَحْيِ فِي الْعَمَلِ وَالِاسْتِدْلَالِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾ [الأعراف:٢٠٣].

والَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الْقُرْآنُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣].

والَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ السُّنَّةُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النجم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

وَاتِّبَاعُ: مَا أَوْحَاهُ اللهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ الَّذِي عَلَى اتِّبَاعِهِ ضَمَانٌ مِنَ الضَّلَالِ مَدَى الحَيَاةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣].

وَطَرِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِاتِّبَاعِهِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ اتِّبَاعِ غَيْرِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وَالْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ: فِيهِمَا أَدِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

فَفِيهِمَا: دَلِيلٌ خَاصٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ[(١)]؛ عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ خَاصٌّ بِاسْمِهِ؛ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَامٌّ[(٢)] بِاسْمِ شَبِيهِهِ فِي الحَلَالِ، أَوِ الحَرَامِ الَّذِي يُقَاسُ عَلَيْهِ؛ عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) **الدَّلِيلُ الخَاصُّ:** هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ فِي الأَمْرِ، وَالنَّهْيِ وَلَمْ يَقِسْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ.
سَمَّاهُ فِي الأَمْرِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].
وَقَالَ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].
وَقَالَ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].
وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧].
وَسَمَّاهُ فِي النَّهْيِ؛ فَقَالَ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟﴾ [النساء:٣٦].
وَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢].
وَقَالَ: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [آل عمران:١٣٠].

(٢) **الدَّلِيلُ العَامُّ:** هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ، وَقَاسَ عَلَيْهِ شَبِيهَهُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة١٩٤].
وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]. =

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ولفظ البُخَارِيُّ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ

= وَقَالَ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة:٩٥]، فَيَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ مِثْلُهُ فِي الشَّكْلِ، أَوِ الصِّفَةِ، أَوِ المِقْدَارِ، كَالحَجْمِ، وَالعَدَدِ، وَالوَزْنِ.

وَلَمَّا كَانَ المِثْلُ يَحْتَاجُ قِيَاسَ جَزَاءِ الصَّيْدِ عَلَى الصَّيْدِ فِي الصِّفَةِ، وَالحَجْمِ، وَكَلَ اللهُ قِيَاسَهُ لِلْعُلَمَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

وَقَدْ وَضَعَ اللهُ النَّصَّ، وَالقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ، دَلِيلَيْنِ لِمَعْرِفَةِ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَمَا حَرَّمَهُ.

فَالحَلَالُ وَالحَرَامُ وَاضِحٌ بَيَّنَهُ اللهُ وَسَمَّاهُ بِالنَّصِّ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالمُشْتَبِهَاتُ لَمْ يُبَيِّنِ اللهُ حُكْمَهَا بِالنَّصِّ وَلَمْ يُسَمِّهَا: وَإِنَّمَا بَيَّنَ حُكْمَهَا بِالْقِيَاسِ عَلَى البَيِّنِ الَّذِي سَمَّاهُ.

فَأَمَرَ اللهُ بِإِلْحَاقِ مَا شَابَهَ الحَلَالَ بِالحَلَالِ لِاشْتِرَاكِهِ مَعَهُ فِي السَّبَبِ وَالحُكْمِ.

وَأَمَرَ بِإِلْحَاقِ مَا شَابَهَ الحَرَامَ بِالحَرَامِ لِاشْتِرَاكِهِ مَعَهُ فِي السَّبَبِ وَالحُكْمِ.

وَلَا يَعْلَمُ المُتَشَابِهَ وَطَرِيقَةَ قِيَاسِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ قَلِيلٌ وَهُمُ العُلَمَاءُ. عَنِ النُّعْمَانَ ابْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَلَفْظُ البُخَارِيِّ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ».

فَمَنِ اتَّقَى تَحْرِيمَ الشَّبِيهِ بِالحَلَالِ لَمْ يَقَعْ فِي تَحْرِيمِ الحَلَالِ.

وَمَنِ اتَّقَى تَحْلِيلَ الشَّبِيهِ بِالحَرَامِ، لَمْ يَقَعْ فِي تَحْلِيلِ الحَرَامِ. عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَمَنْ تَجَرَّأَ عَلَى تَحْرِيمِ الشَّبِيهِ بِالحَلَالِ، وَقَعَ فِي تَحْرِيمِ الحَلَالِ، وَمَنْ تَجَرَّأَ عَلَى تَحْلِيلِ الشَّبِيهِ بِالحَرَامِ وَقَعَ فِي تَحْلِيلِ الحَرَامِ. عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَلِلْبُخَارِيِّ: «فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ».

عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ».

وَمَنِ ادَّعَى بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ كِتَابٌ، وَسُنَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَقَدِ ادَّعَى نُقْصَانَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالحَاجَةَ لِتَكْمِيلِ مَا نَقَصَ بِأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ المَتْبُوعِينَ فِي الدِّينِ.

وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

وَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ» رَوَاهُ أحمدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِذَاتِهِ.

وَالْكِتَابُ، وَالسُّنَّة: كَافِيَانِ فِي مَعْرِفَةِ الحَلَالِ، وَالحَرَامِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاحْتِجَاجِ، لِمَنْ عَرَفَهُمَا، وَلَمْ يُشْغَلْ بِغَيْرِهِمَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

الطَّرِيقُ الثَّانِي: طَرِيقُ الشَّخْصِ المَتْبُوعِ لِجَاهِهِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، والِاسْتِدْلَالِ بِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

الطَّرِيقُ الثَّالِثُ: طَرِيقُ الشَّخْصِ المَتْبُوعِ فِي التَّرْبِيَةِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، والِاسْتِدْلَالِ بِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة:١٠٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ «وَيُشَرِّكَانِهِ» كَمَا تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «وَيُشَرِّكَانِهِ».

الطَّرِيقُ الرَّابِعُ: طَرِيقُ الشَّخْصِ المَتْبُوعِ لِعِلْمِهِ، وَعِبَادَتِهِ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، والِاسْتِدْلَالِ بِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وعَنْ عَدِي بن حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَطُرُقُ الْأَشْخَاصِ المَتْبُوعِينَ لِجَاهِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ، وَتَرْبِيَتِهِمْ لِلطُّلَّابِ: هِيَ الطُّرُقُ الَّتِي نَهَى اللهُ المُسْلِمِينَ عِنِ اتِّبَاعِهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالمَذَاهِبُ: خَلَطَتْ بَيْنَ طَرِيقِ الْوَحْيِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِاتِّبَاعِهِ؛ فَقَالَ فِي سُوْرَةِ الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وَبَيْنَ طُرُقِ الْأَشْخَاصِ المَتْبُوعِينَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنِ اتِّبَاعِهَا؛ فَقَالَ فِي سُوْرَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فَأَخْرَجَتِ المَذَاهِبُ الْعَقَدِيَّةُ(١): إِسْلَامًا مَخْلُوطًا بِالْكُفْرِ، وَتَوْحِيدًا مَخْلُوطًا بِالشِّرْكِ، وَسُنَّةً مَخْلُوطَةً بِالْبِدْعَةِ.

وَمَنْ قرأ فِي المَذْهَبِ الشِّيعِيِّ، وَالمَذْهَبِ الصُّوفِيِّ رَأَى ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَخَرَّجَتِ المَذَاهِبُ الْعَقَدِيَّةُ: مُسْلِمِينَ جَمَعُوا بَيْنَ أَعْمَالِ الْكُفْرِ، وَالْإِيمَانِ، وَالشِّرْكِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْبِدْعَةِ.

وَمَنْ نَظَرَ لِأَعْمَالِ أَتْبَاعِ المَذْهَبِ الشِّيعِيِّ، وَالمَذْهَبِ الصُّوفِيِّ رَأَى ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَمَنِ اسْتَمَعَ لِعُلَمَائِهِمْ: عَلِمَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ.

وَأَخْرَجَتِ المَذَاهِبُ الْفِقْهِيَّةُ(٢): فِقْهًا فِي الْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، خَلَطُوا فِيهِ

---

(١) **سُؤَالٌ:** كَيْفَ تُعَمِّمُ المَذَاهِبَ العَقَدِيَّةَ. أَلَيْسَ مَذْهَبُ السَّلَفِ حَقًّا؟

الجَوَابُ: لَا يُسَمَّى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَتْبَاعِهِمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ العَقَائِدِ مَذْهَبًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِدِينِ الإِسْلَامِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَمْ يَكُونُوا عَلَى مَذْهَبِ شَخْصٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ، وَشَرِيعَتِهِ فِي عَقَائِدِهِمْ بِخِلَافِ المَذَاهِبِ العَقَدِيَّةِ، فَكُلُّ صَاحِبِ مَذْهَبٍ عَلَى عَقِيدَةِ الشَّخْصِ الَّذِي سَمَّاهُ، وَالمَذْهَبِ الَّذِي نَسَبَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، كَالمَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ، وَالمَذْهَبِ الصُّوفِيِّ، وَالمَذْهَبِ الشِّيعِيِّ، وَغَيْرِهَا.

(٢) **سُؤَالٌ:** كَيْفَ تُعَمِّمُ المَذَاهِبَ الفِقْهِيَّةَ، أَلَيْسَ أَصْحَابُ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ على الكتاب، والسنة؟

الجَوَابُ: لَا يُسَمَّى مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ فِي العَمَلِ، وَالاحْتِجَاجِ مَذْهَبًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِدِينِ الإسلام، لِأَنَّ الأَئِمَّةَ الأَرْبَعَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مَذَاهِبُ، وَمَاتُوا وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى مَذْهَبِ =

بَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَعْصُومَةِ. وَبَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ غَيْرِ المَعْصُومَةِ.

وَمَنْ قرأ في كتب المَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ السُّنِّيَّةِ: رَأَى ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَخَرَّجَتْ فُقَهَاءَ: خَلَطُوا فِي الْفِقْهِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، بَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ.

وَمَنْ حَضَرَ عِنْدَ أَتْبَاعِ المَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ: فِي الدُّرُوسِ، وَالدَّوْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْمُحَاضَرَاتِ، وَالنَّدَوَاتِ، وَالخُطَبِ، سَمِعَ الخَلْطَ بَيْنَ الرِّوَايَةِ، وَالرَّأْيِ، أَحْيَانًا، وَسَمِعَ الرَّأْيَ المَحْضَ أَحْيَانًا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْفِقْهِ عَلَى مَدَارِسِ المَذَاهِبِ، وَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ اجْتَهَدَ فِي فَصْلِ الْوَحِي، عَنِ الرَّأْيِ فِي الْفِقْهِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالحَدِيثِ، وَسَائِرِ الْعُلُومِ، كَمَا فُصِلَتْ فِي الْعَقِيدَةِ، لِيَسْلَمَ لِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ.

=شَخْصٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَإِنَّمَا كَانُوا عَلَى دِينِ الإِسْلَامِ، وَشَرِيعَتِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاحْتِجَاجِهِمْ بِخِلَافِ طُلَّابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ، وَأَتْبَاعِهِمْ؛ الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ، بِالمَذَاهِبِ، وَبَدَأَ الطُّلَّابُ، فِي بِنَاءِ المَذَاهِبِ، وَالتَّعَصُّبِ لَهَا، وَخَلَطُوا فِي المَذَاهِبِ بَيْنَ الرَّأْيِ، وَالرِّوَايَةِ فِي الْعَمَلِ، وَالاحْتِجَاجِ، وَطَوَّرُوهَا حَتَّى أَصْبَحَ الرَّأْيُ فِيهَا أَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ، وَمَا زَالَتْ تُطَوَّرُ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَيُخْشَى أَنْ تَخْلُوَ مِنَ الرِّوَايَةِ، وَأَصْبَحَ كُلُّ طَالِبٍ؛ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَذْهَبَ الشَّخْصِ الَّذِي يُسَمِّيهِ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ؛ وَكَانَ يُغْنِيهِم عَنِ المَذَاهِبِ، مَا أَغْنَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْسَمَ لَيَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَ اللهِ المُسْتَقِيمِ وَبَرَّ بِقَسَمِهِ.

وَمُشْكِلَةُ أَتْبَاعِ المذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ أَنَّهُمْ حَرَّمُوا مَاحَرَّمَهُ اللهُ مِنَ الْرَأْيِ[1]، وَالْتَّقْلِيْدِ فِي الْعَقَائِدِ.

وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللهُ مِنَ الْرَأْيِ، وَالْتَّقْلِيْدِ فِي الْعَمَلِ، وَلَوْ حَرَّمُوْهُ فِي الْعَمَلِ، لَفَصَلُوْهُ كَمَا فَصَلُوْهُ فِي الاعْتِقَادِ، لأَنَّ الْعَمَلَ دِيْنٌ كَالاعْتِقَادِ.

(١) **الفَرْقُ بَيْنَ الرَّأْيِ، والتَّقْلِيدِ:** أَنَّ الرَّأيَ هُوَ أَنْ تَتَّبِعَ رَأْيَكَ، وَالتَّقْلِيدَ، هُوَ أَنْ تَتَّبِعَ رَأْيَ غَيْرِكَ.

بَابُ: طَرَائِقِ الْفِقْـهِ

لِلْفِقْهِ: ثَلَاثُ طَرَائِقَ:

طَرِيقَةٌ: وَضَعَهَا اللهُ.

وَطَرِيقَةٌ: وَضَعَهَا الْمُشْرِكُونَ.

وَطَرِيقَةٌ: وَضَعَهَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

الطَّرِيقَةُ الْأُولَى: طَرِيقَةُ الْفِقْهِ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ:

وَهِيَ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا، وَنَهَى عَنِ اتِّبَاعِ غَيرِهَا؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الجَاثِيَةِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) [الجاثية:١٨].

---

(١) الشَّرِيعَةُ: مَعْنَاهَا طَرِيقَةُ العَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

وَالمَنْهَجُ: هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي تَمْشِي فِيهِ.

وَالشِّرْعَةُ، وَالشَّرِيعَةُ: هِيَ مَا تَعْمَلُهُ فِي الطَّرِيقِ مِنَ العِبَادَاتِ، وَغَيْرِهَا.

وَالمُشَرِّعُ: هُوَ الَّذِي وَضَعَ لَكَ طَرِيقَةَ العَمَلِ فِي الطَّرِيقِ.

سَوَاء وَضَعَ المُشَرِّعُ: طَرِيقَةً صَحِيحَةً، كَالشَّرِيعَةِ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ لَمَنْ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ؛ قَالَ اللهُ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

أَوْ وَضَعَ المُشَرِّعُ: طَرِيقَةً بَاطِلَةً؛ كَالشَّرِيعَةِ الَّتِي وَضَعَهَا النَّاسُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَأَتْبَاعِهِمْ، فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَمْشُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وَلِمَعْرِفَةِ الحَلَالِ، وَالحَرَامِ: تُجْمَعُ[1] أَدِلَّةُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ، وَيُفَسَّرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لِمَعْرِفَةِ حُكْمِهَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَةُ: طَرِيقَةُ الْفِقْهِ فِي الرَّأْيِ، وَضَعَهَا الْمُشْرِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ: وَهِيَ التَّقْلِيدُ لِلْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ؛ فقال: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

فَمَنْ قَلَّدَ الْمُرَبِّينَ: فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِمْ فَهُوَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

---

(١) **الفِقْهُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ** يَجْمَعُ لَكَ الرِّوَايَةَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي المَسْأَلَةِ الوَاحِدَةِ لِيَتَّضِحَ لَكَ حُكْمُهَا بِرَدِّ المُتَشَابِهِ إِلَى المُحْكَمِ وَالمُجْمَلِ إِلَى المُبَيَّنِ، وَالخَاصِّ إِلَى العَامِّ، وَالمُطْلَقِ إِلَى المُقَيَّدِ، وَالمَنْسُوخِ إِلَى النَّاسِخِ، وَالمَعْنَى اللُّغَوِيِ إِلَى النَّصِّ، وَالقِيَاسِ إِلَى النَّصِّ، وَالإِجْمَاعِ إِلَى النَّصِّ، وَالخِلَافِ إِلَى النَّصِّ، وَالعِلَّةِ إِلَى النَّصِّ، لِتَعْمَلَ بِالمُحْكَمِ لَا بِالمُتَشَابِهِ، وَبِالمُبَيَّنِ لَا بِالمُجْمَلِ، وَبِالخَاصِّ لَا بِالعَامِّ، وَبِالمُقَيَّدِ لَا بِالمُطْلَقِ، وَبِالنَّاسِخِ لَا بِالمَنْسُوخِ، وَبِالنَّصِّ لَا بِالمَعْنَى اللُّغَوِيِّ مَعَهُ، وَبِالنَّصِّ لَا بِالقِيَاسِ مَعَهُ، وَبِالنَّصِّ لَا بِالإِجْمَاعِ المُخَالِفِ لَهُ، وَبِالنَّصِّ لَا بِالخِلَافِ، وَبِالدَّلِيلِ لَا بِالتَّعْلِيلِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ «وَيُشَرِّكَانِهِ» كَمَا تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

«وَيُشَرِّكَانِهِ» فِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ.

وَمَنْ قَلَّدَ الْعُلَمَاءَ، وَالْعُبَّادَ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِمْ فَهُوَ عَلَى طَرِيقَةِ مُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التوبة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وعَنْ عَدِي بن حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَاحَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَمَنْ قَلَّدَ الْأَشْخَاصَ الْمَتْبُوعِينَ لِجَاهِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِمْ، فَسَوْفَ يَضِلُّ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧].

---

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

الطَّرِيقَةُ الثَّالِثَةُ: طَرِيقَةُ الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ، وَضَعَهَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنْفُسِهِمْ:

وَهِيَ الْخَلْطُ فِي الْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، بَيْنَ أَقْوَالِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْوَالِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ لِعِلْمِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

فَخَرَّجَتِ الْمَذَاهِبُ(٢) عُلَمَاءَ، وَمُفْتِينَ، وَدُعَاةً، دَلِيلُهُمْ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ، وَلَيْسَتْ أَقْوَالَ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

(٢) **الْمَطْلُوبُ لَيْسَ تَرْكَ القِرَاءَةِ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ:** وإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ هُوَ القِرَاءَةُ فِيهَا، وَفَصْلُ عِلْمِ الرِّوَايَةِ، عَنْ عِلْمِ الرَّأْيِ. وَعِلْمُ الرِّوَايَةِ فِيهِ كَثِيرٌ. ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾.

وَقَدْ فَصَلَ أَهْلُ السُّنَّةِ، عِلْمَ الرِّوَايَةِ عَنِ الرَّأْيِ فِي العَقَائِدِ.

وَبَقِيَ الخَلْطُ فِي الفِقْهِ، وَقَوَاعِدِهِ، وَأُصُولِهِ، وَالحَدِيثِ وَشُرُوحِهِ، وَتَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَهُوَ الَّذِي سَامَ الْمُسْلِمِينَ سُوءَ العَذَابِ، وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الخِلَافَ، وَالْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضَاءَ، وَحَرَّفَ دِينَهُمْ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَّا لِنَفْسٍ عَمَلِيَّةِ العَقَائِدِ.

وَأَمَّا الْمَذَاهِبُ الفِقْهِيَّةُ وَمِنْهَا الْمَذَاهِبُ الأَرْبَعَةُ: فَهِيَ الَّتِي خَلَطَتْ بَيْنَ الاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ الأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ لِعِلْمِهِمْ وَبَيْنَ الاسْتِدْلَالِ بِقَوْلِ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ قَرَأَ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ الفِقْهِيَّةِ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ وَجَدَ الرِّوَايَةَ مَخْلُوطَةً بِالرَّأْيِ مَعَ تَقْدِيسِ الرَّأْيِ وَإِظْهَارِهِ عَلَى الرِّوَايَةِ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ الرِّوَايَةَ حَتَّى يَعْرِضَهَا عَلَى الرَّأْيِ، فَإِذَا قُلْتَ: قَالَ اللهُ وَقَالَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَكَ: مَاذَا قَالَ الإِمَامُ فِيهَا؟ وَهَلْ أَنْتَ مُوَافِقٌ لِلإِمَامِ فِي هَذَا القَوْلِ الَّذِي تَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟!. =

وَالمُحْسِنُ مِنْهُمْ: مَنْ يَسْتَدِلُّ بِقَوْلِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة، وَبِأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ مَرَّاتٍ.

وَكُلُّ طَالِبٍ دَلِيلُهُ: قَالَ إِمَامُنَا، وَشَيْخُنَا.

وَكُلُّ طَالِبٍ مُسْتَمِيتٌ فِي صَرْفِ النَّاسِ إِلَى شَيْخِهِ، وَدَلِيلُهُ أَنَّ شَيْخَهُ عَالِمٌ، وَعَابِدٌ، وَمُزَكًّى مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ.

وَعِلْمُ شَيْخِهِ، وَعِبَادَتُهُ، وتَزْكِيَتُهُ كُلُّهَا، لَا تُرَقِّيهِ إِلَى دَرَجَةِ الْعِصْمَةِ مِنَ الخَطَأِ، أَوْ إِلَى دَرَجَةِ طَاعَةِ النَّاسِ، وَاتِّبَاعِهِمْ لَهُ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِقَوْلِهِ.

وَلَكِنَّ الْغُلُوَّ فِي تَعْظِيمِ الْأَشْخَاصِ يُعْمِي صَاحِبَهُ، **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)**.

فَالنَّصَارَى: مَدَحُوا عِيسَى حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ ابْنٌ للهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

وَمَدَحُوا عِيسَى حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ؛ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

= وَأَمَّا المَذَاهِبُ السِّيَاسِيَّةُ فَقَدْ خَلَطَ فِيهَا عِلْمُ السِّيَاسَةِ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِعِلْمِ السِّيَاسَةِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الأَحْزَابُ الإِسْلَامِيَّةُ لِأَنْفُسِهَا وَأَتْبَاعِهَا.
وَالمَطْلُوبُ فَصْلُ السِّيَاسَةِ المَعْصُومَةِ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ لِلأَنْبِيَاءِ وَالَّتِي بِهَا خَرَجُوا بِالإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ إِلَى بَرِّ الأَمَانِ وَحَكَمُوا بِهَا العَالَمَ عَنِ السِّيَاسَةِ غَيْرِ المَعْصُومَةِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الأَحْزَابُ الإِسْلَامِيَّةُ لِأَنْفُسِهَا وَلِأَتْبَاعِهَا، وَالَّتِي دَمَّرُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَدَمَّرُوا بِهَا الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

وَأَتْبَاعُ المَذَاهِبِ:

مَدَحُوا الْعُلَمَاءَ، وَالْأَئِمَّةَ، حَتَّى جَعَلُوا أَقْوَالَهُمْ أَدِلَّةً عَلَى الحَلَالِ، وَالحَرَامِ، وَالْعَمَلِ، فَقَلَّدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، فَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ أَرْبَابًا.

وَمَنْ قَرَأَ فِي كُتُبِ المَذَاهِبِ: رَأَى ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَمَنِ اسْتَمَعَ لِمَنْ يُدَرِّسُهَا: عَلِمَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ.

وَمَدَحُوا الْعُبَّادَ: حَتَّى جَعَلُوا أَفْعَالَهُمْ أَدِلَّةً عَلَى الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، فَقَلَّدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، فَاتَّخَذُوا رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا.

وَمَنْ قَرَأَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالزُّهْدِ: رَأَى ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

وَمَنِ اسْتَمَعَ لِمَنْ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ السِّيَرِ،وَالزُّهْدِ: عَلِمَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ.

فَدَخَلُوْا فِي جُحْرِ الضَّبِّ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

بَابُ: أَئِمَّةِ الْفِقْـهِ

لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ: ثَلَاثَةُ أَئِمَّةٍ:

الْأَوَّلُ: أَئِمَّةُ الْفِقْهِ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرَّبَّانِيُّونَ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ.

فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ اللهُ مُعَلِّمًا لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْـلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

وقَالَ فِي سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وَمُبَيِّنًا لِتَفْسِيرِ اللهِ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وَكَلَّفَ اللهُ الرَّبَّانِيِّينَ، بِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَعْلِيمِهِمَا؛ فَقَالَ فِي سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ[1] بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) **وَالرَّبَّانِيُّ:** صِفَةٌ، يُوصَفُ بِهَا كُلُّ مَنْ يَتَعَلَّمُ كِتَابَ الرَّبِّ، وَيُعَلِّمُهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وَكَلَّفَ اللهُ أَهْلَ الذِّكْرِ، بِالْفَتْوَى بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ (١) إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وَقَدْ تَوَلَّى اللهُ بَيَانَ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْوَحِي: وَلَمْ يَدَعْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالرَّبَّانِيِّينَ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ، سِوَى حِفْظِ بَيَانِهِ، وَتَفْسِيرِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَبَلَاغِهِ لِلنَّاسِ.

فَالْمُبَيِّنُ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالْمُفَسِّرُ لَهُ: هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ النَّبِيَّ، وَلَا الصَّحَابَةَ، وَلَا الْعُلَمَاءَ، وَلَا الْأَئِمَّةَ، وَلَا السَّلَفَ، وَلَا الخَلَفَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ القِيَامَةِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (٢)﴾ [القيامة:١٨، ١٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ (٣) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥].

---

(١) وَالذِّكْرُ اسْمٌ لِمَا أَوْحَاهُ اللهُ مِنَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وَقَدْ فَسَّرَ اللهُ الذِّكْرَ، بِأَنَّهُ القُرْآنُ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ ص: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص:١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

وَفَسَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الذِّكْرِ؛ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ فِي أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَعَقَائِدِهِمْ، وَدُرُوسِهِمْ، وَخُطَبِهِمْ، وَمُحَاضَرَاتِهِمْ، وَكَلِمَاتِهِمْ، وَفَتَاوَاهُمْ؛ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ عَنِ الْقُرْآنِ.

(٢) بَيَانُهُ: مَعْنَاهُ تَفْسِيرُهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

(٣) وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا: فِي لِسَانِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ وَضَّحَ، وَأَظْهَرَ، وَأَخْرَجَ، وَكَشَفَ، وَأَفْصَحَ.
قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥]. =

واللهُ كَلَّفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَلَاغِ بَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ شَيْئًا يُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ اللهُ لَهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَزِدْ عَلَى بَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحَاقَّةِ: ﴿نَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ

= وَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].
وَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

واللهُ فِي حَدِيثِهِ فِي القُرْآنِ؛ يَقُولُ: لَمْ يُظْهِرِ الشَّيْءَ، وَيُوَضِّحْهُ، وَيُخَرِّجْهُ، وَيَكْشِفْهُ، يُبَيِّنْهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:٩٢].
وقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].
وَقَالَ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤].

وَيُسَمَّى: الوَاضِحُ، وَالظَّاهِرُ، وَالمَكْشُوفُ بِالبَيِّنِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].
وَقَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء:١٩].
وَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١].
وَيَقُولُ: لَمْ يُفْصِحْ عَنِ الشَّيْءِ، يُبَيِّنْهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ حِكَايَةً لِقَوْلِ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢].

لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة:٤٣-٤٨].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ بَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥].

وَكُلُّ بَيَانٍ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّمَا هُوَ بَلَاغٌ لِبَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

فَوَظِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْصُورَةٌ فِي بَلَاغِ بَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢].

وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ، وَالخَلَفِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ؛ ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢].

وَالصَّحَابَةُ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْأَئِمَّةُ؛ لَمْ يُبَيِّنُوا الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ لَهُمْ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وَالصَّحَابَةُ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْأَئِمَّةُ؛ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا يُبَيِّنُونَهُ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانَ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

فَبَيَانُ الصَّحَابَةِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ، لِلْكِتَابِ،وَالسُّنَّةِ؛ إِنَّمَا هُوَ كَشْفٌ لِبَيَانِ اللهِ، وَإِظْهَارٌ لَهُ، وَنَقْلٌ مِنْهُ، وَبَلَاغٌ لَهُ لَا أَنْ يَأْتُوا بِبَيَانٍ غَيْرِ بَيَانِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وَكُلُّ بَيَانٍ لِلْكِتَابِ،وَالسُّنَّةِ، يُبَيِّنُهُ الصَّحَابَةُ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْأَئِمَّةُ، فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ تَبْلِيغُ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، لَا أَنْ يُبَلِّغُوا آرَاءَ السَّلَفِ، وَالخَلَفِ لِلنَّاسِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ(٢) والترمذي(٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

فَمَنْ بَلَّغَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ، الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ قُبِلَ مِنْهُ فَإِنْ بَلَّغَ رَأْيَهُ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، لِأَنَّ الحُجَّةَ بَيَانُ اللهِ، وَلَيْسَتْ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ، وَلَا الْإِمَامِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) سُنَنُ أَبِي دَاود، بَابُ: فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ.
(٣) سُنَنِ التِّرْمِذِيّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.

﴿١٥٩﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمُبَيِّنَ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالْمُفَسِّرَ لَهُ هُوَ اللهُ، فَلْنْ يَقْبَلَ غَيْرَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء:١٧٦].

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمُبَيِّنَ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالْمُفَسِّرَ لَهُ هُوَ اللهُ، فَلْنْ يُقَيِّدَ فَهْمَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، أَوِ الخَلَفِ، لِعَدِمِ الْعِصْمَةِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلِاخْتِلَافِ أَفْهَامِ النَّاسِ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْبَيَانِ، وَلَكِنْ سَيَطْلُبُ مِنْهُمْ بَيَانَ اللهِ لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَفْسِيرَهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

وَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ، وَالْعُلَمَاءَ، أَوِ الْأَئِمَّةَ مِنَ السَّلَفِ، أَوِ الخَلَفِ يَمْلِكُونَ بَيَانَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ بِالرَّأْيِ، فَسَيَقْبَلُ آرَاءَهُمْ، وَأَفْهَامَهُمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التوبة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّ الصَّحَابَةَ، وَالْعُلَمَاءَ، وَالْأَئِمَّةَ مُبَلِّغُونَ لِبَيَانِ اللهِ الَّذِي فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، فَسَوْفَ يُطَالِبُهُمْ بِهِ، وَسَيُنْكِرُ عَلَيْهِمُ الْبَيَانَ، وَالتَّفْسِيرَ بِآرَائِهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وَلَمَّا ظَهَرَ مَنْ يُطَالِبُ بِفَهْمِ الخَلَفِ، ظَهَرَ مَنْ يُطَالِبُ بِفَهْمِ السَّلَفِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وَلَا يَجْمَعُ الخَلَفَ وَالسَّلَفَ إِلَّا المُطَالَبَةُ بِبَيَانِ الله، وَرَسُولِهِ ﷺ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَفْسِيرِهِمَا، لَا المُطَالَبَةُ بِفَهْمِ الخَلَفِ أَوِ السَّلَفِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وَلَا يُفَرِّقُ السَّلَفَ، وَالخَلَفَ إِلَّا المَطَالَبَةُ بِفَهْمِ الْأَشْخَاصِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وَلَا يَحْمِي عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْمَالَهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَالتَّفَرُّقِ، إِلَّا اتِّبَاعُ بَيَانِ اللهِ، وَرَسُولِهِ، وَتَفْسِيرِهِمَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

الثَّانِي: أَئِمَّةُ فِقْهِ الرَّأْيِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الجَاهِ، وَالْمُرَبُّونَ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْعُبَّادُ.

فَأَصْحَابُ الجَاهِ: اتَّخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ أَئِمَّةً، فَاتَّبَعُوهُمْ، وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ أَدِلَّةً(٢) عَلَى التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالعَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا(٣) وَكُبَرَآءَنَا(٤) فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وَجَعْلُ أَقْوَالِ الأَشْخَاصِ المَتْبُوعِينَ لجَاهِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، أَدِلَّةً عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَإِثْبَاتِ الحَقِّ، وَنَفْيِ البَاطِلِ: هُوَ فِتْنَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ، وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَالسَّلَفِ، وَالخَلَفِ.

(٣) ﴿سَادَتَنَا﴾ مَعْنَاهَا مَنْ نَتَّبِعُهُمْ.
وَكُلُّ مَتْبُوعٍ مِنَ النَّاسِ يُسَمَّى سَيِّدًا أَيًّا كَانَ؛ قَالَ اللهُ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران:٣٩].
وَكُلُّ مُطَاعٍ فِي النَّاسِ يُسَمَّى سَيِّدًا أَيًّا كَانَ، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥]. وقَالَ اللهُ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الأحزاب:٦٧].

(٤) ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾ مَعْنَاهَا مُلُوكُنَا لِأَنَّ الكِبْرِيَاءَ هِيَ الْمُلْكُ أَيًّا كَانَ حَجْمُ الْمُلْكِ، قَالَ اللهُ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٧٨].
وَقَالَ اللهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية:٣٧].

وَالْعُلَمَاءُ، وَالْعُبَّادُ، اتَّخَذَهُمْ مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ أَئِمَّةً، فَاتَّبَعُوهُمْ، وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُمْ، وَأَفْعَالَهُمْ، أَدِلَّةً عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَالْمُرَبُّونَ، اتَّخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَمُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَئِمَّةً فَاتَّبَعُوهُمْ، وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُمْ، وَأَفْعَالَهُمْ، أَدِلَّةً عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «وَيُشَرِّكَانِهِ».

وَالثَّالِثُ: أَئِمَّةُ المَذَاهِبِ؛ اتَّخَذَهُمْ أَتْبَاعُ المَذَاهِبِ أَئِمَّةً فَاتَّبَعُوهُمْ، وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُمْ، وَأَفْعَالَهُمْ، أَدِلَّةً عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التوبة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ (١) وَرُهۡبَٰنَهُمۡ (٢) أَرۡبَابٗا (٣) مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

---

(١) العُلَمَاءُ سَمَّاهُمُ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ أَحْبَارًا وَفِي الإِنْجِيلِ رَبَّانِيِّينَ. قَالَ اللهُ: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة:٦٣].

وَفِي الْقُرْآنِ عُلَمَاءَ. قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

(٢) ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أَيْ عُبَّادَهُمْ لِأَنَّ اللهَ سَمَّى عُلَمَاءَ النَّصَارَى قِسِّيسِيْنَ وَسَمَّى عُبَّادَهُمْ رُهْبَانًا؛ قَالَ اللهُ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢].

(٣) ﴿أَرۡبَابٗا﴾ مَعْنَاهَا سَادَةٌ وَمَتْبُوعُونَ وَمُطَاعُونَ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ.

وَاللهُ فِي حَدِيثِهِ فِي الْقُرْآنِ يُسَمِّي الْمَعْبُودَ وَالْمَلِكَ وَالسَّيِّدَ وَالْمُطَاعَ وَالْمَتْبُوعَ وَالصَّاحِبَ رَبًّا.

فَيُسَمِّي الْمَعْبُودَ وَالإِلَهَ رَبًّا؛ قَالَ اللهُ: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٠]، وَقَالَ اللهُ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وَقَالَ اللهُ حِكَايَةً لِقَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

وَيُسَمِّي الْمَلِكَ وَالسَّيِّدَ وَالْمَتْبُوعَ وَالْمُطَاعَ رَبًّا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾.

وَقَالَ اللهُ حِكَايَةً لِقَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا ﴾ [يوسف:٤١].

وَقَالَ: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢].

وَيُسَمِّي الصَّاحِبَ رَبًّا؛ قَالَ اللهُ: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [قريش:٣].

اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا فِي الطَّاعَةِ، وَالِاتِّبَاعِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَاحْتَجُّوا بِهِمْ؛ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَاحَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

بَابٌ: طُلَّابُ الْفِقْهِ

طُلَّابُ الْفِقْهِ: ثَلَاثَةٌ:

الأول: طُلَّابُ الْفِقْهِ عَلَى الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

وَهُمُ الَّذِينَ يُلْزِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ فِي الدِّرَاسَةِ، وَالتَّعْلِيمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

الثَّانِي: طُلَّابُ الْفِقْهِ عَلَى الرَّأْيِ.

وَهُمُ الَّذِينَ يُلْزِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَاتِّبَاعِهِمْ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

الثَّالِثُ: طُلَّابُ[1] الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ.

---

(١) **الْفُقَهَاءُ فِي الدِّينِ عَلَى الْمَذَاهِبِ ثَلَاثَةٌ:**

الأَوَّلُ: فُقَهَاءُ يَقْرَؤُونَ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ، وَيَجْمَعُونَ الرِّوَايَةَ الَّتِي فِيهَا عَنِ اللهِ، وَرَسُولِهِ ﷺ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ، وَيُفَسِّرُونَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ لِيَعْرِفُوا الْحُكْمَ وَلَا يَخْلِطُونَ الرِّوَايَةَ بِالرَّأْيِ وَهَذَا حَقٌّ لِأَنَّهُ فِقْهٌ فِي الدِّينِ يَقُومُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الثَّانِي: فُقَهَاءُ يَقْرَؤُونَ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ وَيَجْمَعُونَ لَكَ رَأْيَ كُلِّ إِمَامٍ فِي الْمَسْأَلَةِ الوَاحِدَةِ لِتَخْتَارَ رَأْيَ مَذْهَبِكَ أَوْ رَأْيَ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ وَتَعْمَلَ بِهِ وَلَا يَذْكُرُونَ لَكَ الرِّوَايَةَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فِي التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَقَدْ تَوَسَّعَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ فِقْهًا فِي الْمَذَاهِبِ حَتَّى اسْتَخْرَجَ آرَاءَ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ وَآرَاءَ تَلَامِيذِهِمْ وَآرَاءَ أَتْبَاعِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَأَلَّفَ بِهَا كُتُبًا شَغَلَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، وَأَصْبَحَ لِكُلِّ مَذْهَبٍ أَصْحَابٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَفِي كُلِّ بَلْدَةٍ مُجْتَهِدُونَ فِي تَحْوِيلِ الْمُسْلِمِينَ مِنِ اتِّبَاعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ =

وَهُمُ الَّذِينَ يُلْزِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِدِرَاسَةِ مَذْهَبٍ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ، أَوْ دِرَاسَةِ عَدَدٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْمُعَيَّنَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وَتَعْرِفُ طُلَّابَ الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ: بِالتَّقْلِيدِ لِلْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤].

وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُتَمَذْهِبِينَ: هُوَ اتِّبَاعُ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، مَعَ وُجُودِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

والطَّالِبُ: لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَذْهَبِ، بِحُجَّةِ أَنَّ بَابَ الِاجْتِهَادِ الَّذِي فَتَحَهُ اللهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ قَدْ أُغْلِقَ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى التَّقْلِيدِ لِلْمَذْهَبِ.

= إِلَى اتِّبَاعِ الأَئِمَّةِ الْمَتْبُوعِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفُقَهَاءُ الْمُتَصَدِّرُونَ الْيَوْمَ، وَمَنْ مَدَحَ الفِقْهَ وَالفُقَهَاءَ فَإِنَّمَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ لِكَثْرَتِهِمْ.

الثَّالِثُ: فُقَهَاءُ خَلَطُوا الرِّوَايَةَ بِالرَّأْيِ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ وَطَحَنُوهَا وَعَجَنُوهَا وَخَبَزُوهَا حَتَّى أَصْبَحَتْ جَاهِزَةً لِلْعَمَلِ وَالتَّطْبِيقِ وَالاحْتِجَاجِ وَقَدَّمُوهَا لِلنَّاسِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مُبْتَدِعَةٌ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فِي الْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَهِيَ أَشَدُّ ضَرَرًا لِأَنَّهَا وَضْعٌ لِلسُّمِّ فِي الدَّسَمِ وَقَدْ تَسَمَّمَ بِهَذَا السُّمِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعَوَامِّهِمْ.

بَابُ: أَصْحَابِ الْفِقْهِ

أَصْحَابُ الْفِقْهِ: ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَصْحَابُ الْفِقْهِ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْمُسْلِمُونَ:

فَالْفِقْهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

فَلَا يُوجَدُ نَبِيٌّ إِلَّا وَلَهُ كِتَابٌ، وَسُنَّةٌ، يَتَفَقَّهُ عَلَيْهِمَا، وَيُفَقِّهُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١].

وقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وَالْفِقْهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِلْوَحْيِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

وَالْفِقْهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ عَلَيْهِ قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّأْيِ، وَوِلَادَةِ الْمَذَاهِبِ فَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى

مَذْهَبٍ، وَإِنَّما كَانَ عَلَى الْوَحِي؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

والَّذِي كَانَ يُوحَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّة؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقَالَ فِي سُوْرَةِ النَّجْمِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤].

والْقُرْآنُ، وَالسُّنَّة، هُمَا اللَّذَانِ أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلَاوَتِهِمَا عَلَى النَّاسِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد:٣٠].

وَقَالَ فِي سُوْرَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧].

وَقَالَ فِي سُوْرَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وَقَالَ فِي سُوْرَةِ النَّمْلِ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:٩١، ٩٢].

وَالْفِقْهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّأْيِ، وَوِلَادَةِ الْمَذَاهِبِ فَلَمْ يَكُنِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلى مَذْهَبٍ، وَإِنَّما كَانُوا

عَلَى الْوَحِي؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وَالَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ هُوَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وَالْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي أُمِرَ الصَّحَابَةُ بِاتِّبَاعِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وَالسُّنَّة هي الَّتِي أُمِرَ الصَّحَابَةُ بِاتِّبَاعِهَا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

الثَّانِي: أَصْحَابُ الْفِقْهِ عَلَى الرَّأْيِ:

وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَمَنْ قَلَّدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَالْمُشْرِكُونَ: يَتَّبِعُونَ الرَّأْيَ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقَائِدِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَالْحُكْمِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ، وَالْإِيمَانِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤].

فَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقَائِدِ، والتَّحْرِيمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(١)﴾ [الأنعام:١٤٨].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي التَّشْرِيعِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْحُكْمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المائدة: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

---

(١) تخرصون لها عدة معان في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ،

فإن كان الخرص في القول، والفعل، فهو الكذب.

وإن كان في العد و الوزن فهو التقدير، والتخمين.

فخرص في فعله معناها كذب؛ قال الله في سورة يونس: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:٦٦].

وخرص في قوله معناه كذب؛ قال الله في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف:٢٠].

والخراصون في القول هم الكذابون؛ قال الله في سورة الذاريات: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات:٨-١٠].

وخرص العدد قدر عدده، ولم يعده. وخرص الوزن قدر وزنه، ولم يزنه.

وقد خرص رسول الله ﷺ، وزن ثمر مزرعة دون أن يزنها بعشرة أوسق فلما وزنت كانت عشرة أوسق؛ عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرص حديقة امرأة في وادي القرى عشرة أوسق، ثم قال لها: «**احصي ما يخرج منها**» أي: زنيه، فقال لها رسول الله ﷺ: «كم جاءت حديقتك؟»، فقالت: عشرة أوسق خرص رسول الله ﷺ. رواه البخاري في باب خرص الثمر.

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْعِبَادَاتِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يونس: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:٦٦].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْأَخْلَاقِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي مَعْرِفَةِ الحَلَالِ، وَالحَرَامِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يونس: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الجَاثِيَةِ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٢٧].

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا؛ فَقَالَ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨].

وَفِقْهُ الرَّأْيِ: هُوَ الَّذِي دَعَا الْمُشْرِكُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العَمَلِ بِهِ، وَتَطْبِيقِهِ حَتَّى يَتَّبِعُوهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس:١٥].

فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥].

الثَّالِثُ: أَصْحَابُ الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ:

فَهُمْ مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ.

لِأَنَّهُمُ اسْتَبْدَلُوا مَا كَتَبَهُ اللهُ، بِمَا كَتَبَهُ الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩].

اسْتَبْدَلُوا مَا قَالَهُ اللهُ، بِمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

وَتَعَامَلُوا مَعَ كِتَابِ اللهِ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠١، ١٠٢].

وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَهُمْ يَحْفَظُونَهُ، وَيَقْرَؤُونَهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١١٣].

فَلَا تَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ قَوْلِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ اللهِ الَّذِي يَعْمَلُ بِأَقْوَالِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِمْ، وَبَيْنَ قَوْلِ مَنْ لَا يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٣].

وَمَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ، و يعمل، وَيَسْتَدِلُّ بِأَقْوَالِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَيَحْتَجُّ بِهِمْ فَسَيَكْتُمُ كِتَابَ الله؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

فَلَا تَجِدُ فِي الرَّأْيِ دِينًا صَحِيحًا، وَإِنَّمَا تَجِدُ الدِّينَ الصَّحِيحَ فِي الرِّوَايَةِ الْمَحْضَةِ عَنِ اللهِ، وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨].

وَقَدْ دَعَا مُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَمَلِ بِفِقْهِ(١) الرَّأْيِ، وَتَطْبِيقِهِ حَتَّى يَتَّبِعُوهُ فَنَهَاهُ اللهُ، وَحَذَّرَهُ مِنْهُمْ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩].

(١) وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ عَلَى الرِّوَايَةِ يَأْتِي أَحْيَانًا مُخَالِفًا لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ: فَالحَائِضُ أُمِرَتْ بِقَضَاءِ الصَّوم وَلَمْ تُؤْمَرْ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ،

فَالرَّأْيُ يَقِيسُ قَضَاءَ الصَّلَاةِ عَلَى الصِّيَامِ لِأَنَّهُمَا عِبَادَتَانِ تُرِكَتَا لِعُذْرٍ.

وَالرِّوَايَةُ تَمْنَعُ القِيَاسَ لِوُجُودِ النَّصِّ. عَنْ مُعَاذَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ قَالَتْ: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالرِّوَايَةِ عَنِ اللهِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ بِالرَّأْيِ وَلَا بِالْقِيَاسِ الْمُخَالِفِ لِلنَّصِّ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ -كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟- كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟- قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ: «آيَةُ الْمِيرَاثِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ بِالقِيَاسِ إِذَا خَالَفَ النَّصَّ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِالقِيَاسِ إِذَا وَافَقَ النَّصَّ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ كَقِيَاسِ دَيْنِ اللهِ عَلَى دَيْنِ الْمَخْلُوقِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي السَّبَبِ وَالْحُكْمِ فَالسَّبَبُ أَنَّ الدَّيْنَ حَقٌّ لِلشَّخْصِ وَحُكْمُهُ وُجُوبُ القَضَاءِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أُخْتِي قَدْ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاقْضِ اللهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

بَابٌ: وَقَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ عَلَى الْمَذَاهِبِ مِنْ جُحْرِ الضَّبِّ

فَغَيَّرُوا دِينَهُمْ، وَفَرَّقُوا جَمَاعَتَهُمْ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

فَالدِّينُ فِي فِقْهِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ الْإِسْلَامُ الْخَالِصُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وَالدِّينُ فِي فِقْهِ الْمَذَاهِبِ: هُوَ الْإِسْلَامُ الْمَخْلُوطُ بِغَيْرِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [آل عمران:٧١].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ وَحْيِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنِ اتِّبَاعِ سُبُلِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَطَاعَتِهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وإِذَا اتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ طَرِيقَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ، وَالخَلْطِ بَيْنِ الرَّأْيِ، وَالرِّوَايَةِ فَسَيَضِلُّونَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

بَابُ: أَتْبَاعِ الْفِقْهِ

أَتْبَاعُ الْفِقْهِ: ثَلَاثَةٌ:

الأول: أَتْبَاعِ الْفِقْهِ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ:

وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

فَعُلَمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ تَعْلِيمِ كِتَابِ الرَّبِّ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وَعَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ سُؤَالِ أَهْلِ الْقُرْآنِ عَنِ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

وَقَدْ أَقَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَامِيِّ عَلَى سُؤَالِهِ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَالدَّلِيلِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

وأعطاه الدَّلِيلَ قَبْلَ أَنْ تَمْنَعَهُ الْمَذَاهِبُ مِنَ السُّؤَالِ عِنِ الدَّلِيلِ، بِحُجَّةِ أَنَّ الْعَامِيَّ لَا يَحْتَاجُ الدَّلِيلَ، لِأَنَّهُ مُقَلِّدٌ، وَلَا يَفْهَمُ الدَّلِيلَ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا: قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ

مَنْ قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

فَالْعَالِمُ: فِي دِينِ الْإِسْلَامِ:

مُتَّبِعٌ لِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ فِي التَّعَلُّمِ، وَالتَّعْلِيمِ، فَلَيْسَ بِمُقَلِّدٍ.

وَالْعَامِّيُّ: فِي دِينِ الْإِسْلَامِ:

مُتَّبِعٌ لِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، مِنْ سُؤَالِ أَهْلِ الْقُرْآنِ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلَيْسَ بِمُقَلِّدٍ.

وَأَمَّا الْعَالِمُ، وَالْعَامِّيُّ: فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ.

فَهُمَا مُقَلِّدَانِ لِلْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ.

وَهُوَ مَا يُصَرِّحُ بِهِ فُقَهَاءُ الرَّأْيِ فِي الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ، وَالْأُصُولِيَّةِ: بِأَنَّ الْعَالِمَ مُقَلِّدٌ لِإِمَامِهِ.

وَالْعَامِّيَّ مُقَلِّدٌ لِلْمُفْتِي. وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَأْخُذُوهُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي العِلْمِ.

الثَّانِي: أَتْبَاعُ الْفِقْهِ عَلَى الرَّأْيِ:

وَهَمُ الْمُقَلِّدُونَ لِلْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ فِي الِاعْتِقَادِ، وَالْعَمَلِ، وَالِاحْتِجَاجِ.

فَأَتْبَاعُ فِقْهِ الرَّأْيِ، مُقَلِّدُونَ فِي الِاتِّبَاعِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

وَمُقَلِّدُونَ فِي الِاقْتِدَاءِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وَمُقَلِّدُونَ فِي الْعَمَلِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٣].

وَمُقَلِّدُونَ فِي الإحتجاج؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٤].

وقَالَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف:٢٨].

وَالْفِقْهُ عَلَى الرَّأْيِ هُوَ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ الْيَوْمَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٣٦].

وَجَمَاهِيرُهُمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١١٦].

والَّذِين صَرَفُوا النَّاسَ عَنْ فِقْهِ الرِّوَايَةِ فِي الدِّينِ، إِلَى فِقْهِ الرَّأْيِ فِي الدِّينِ؛ هُمُ الْأَئِمَّةُ الْمَتْبُوعُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧].

بَابٌ

وَيَدَّعِي فُقَهَاءُ الرَّأْيِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو النَّاسَ لِتَرْكِ اتِّبَاعِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَاتِّبَاعِ اللهِ، وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَنَّهُ يُسَفِّهُ الْأَشْخَاصَ الْمَتْبُوعِينَ، وَيُنَصِّبُ نَفْسَهُ لِيَكُونَ مَتْبُوعًا، مَعَ أَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى اتِّبَاعِهِ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى اتِّبَاعِ الْوَحْيِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٧٨].

بَابٌ

والَّذِي أَسَّسَ لِلنَّاسِ فِقْهَ الرَّأْيِ فِي الدِّينِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَأَثْرَاهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ فِقْهِ الرِّوَايَةِ عَنِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ الشَّيْطَانُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ

نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١].

بَابٌ

وَقَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ فَغَيَّرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الخَالِصَ؛ وَاسْتَبْدَلُوهُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ المَخْلُوطِ، وَفَرَّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَبْدَلُوهَا بِالطَّوَائِفِ، وَالْأَحْزَابِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

الثَّالِثُ: أَتْبَاعُ الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ:

وَهُمُ الَّذِين لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا فِي الْمَذَاهِبِ مِنْ رَأْيِ الْإِمَامِ.

فَالسَّائِلُ: يَسْأَلُ مَا هُوَ رَأْيُ الْإِمَامِ فُلَانٍ، وَمَا هُوَ رَأْيُ تِلْمِيذِهِ، وَمَا هُوَ رَأْيُ مَشَايِخِنَا؟

وَالمُجِيبُ يُجِيبُ: رَأْيُ الْإِمَامِ كَذَا، وَرَأْيُ تِلْمِيذِهِ كَذَا، وَرَأْيُ مَشَايِخِنَا كَذَا.

وَأَنْتَ يَا شَيْخَنَا مَاذَا تُرَجِّحُ، فَيَقُولُ: وَأَنَا أُرَجِّحُ قَوْلَ الْإِمَامِ فُلَانٍ، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَشَايِخُنَا.

وَهَذَا كُلُّهُ رَأْيٌ، وَتَرْبِيَةٌ لِلطُّلَّابِ عَلَى اتِّبَاعِ الرَّأْيِ، مَعَ وُجُودِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٣].

(١) صَحِيحُ البُخَارِيِّ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وَعَلَى هَذَا قِسْ كُلَّ اسْتِدْلَالٍ عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْمَتْبُوعِينَ لِعِلْمِهِمْ، فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَقَدْ تَوَرَّطَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَئِمَّةُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي دُرُوسِهِمْ، وَخُطَبِهِمْ، وَكَلِمَاتِهِمْ، وَفَتَاوَاهُمْ، وَكُتُبِهِمْ، فِي الْعَمَلِ بِأَقْوَالِ مَشَايِخِهِمْ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهَا أَمَامَ طُلَّابِهِمْ.

فَقَلَّدَهُمُ الطُّلَّابُ فِي عَمَلِ الطَّالِبِ بِقَوْلِ شَيْخِهِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِ لَا بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالدِّفَاعِ عَنْ ذَلِكَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ مَالٍ، وَجَاهٍ.

وَوَضَعُوا لِذَلِكَ قَاعِدَتَيْنِ، أُخِذَتْ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

الْأُولَى: أَنَّ الطَّالِبَ مُقَلِّدٌ لِشَيْخِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْعَامِّيَّ مُقَلِّدٌ لِلْمُفْتِي.

وَدَلِيلُ التَّقْلِيدِ: التَّعْلِيلُ الْمُخَالِفُ لِلدَّلِيلِ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةٌ مُجْتَهِدُونَ، وَأَنَّ بَابَ الِاجْتِهَادِ قَدْ أُغْلِقَ.

وَيَجِبُ إِغْلَاقُهُ لِأَنَّنَا لَوْ تَرَكْنَا بَابَ الِاجْتِهَادِ مَفْتُوحًا لَدَخَلَ مِنْهُ مَنْ لَيْسَ بِمُجْتَهِدٍ.

وَالتَّعْلِيلُ لَيْسَ دَلِيلًا، فَكَيْفَ إِذَا خَالَفَ الدَّلِيلَ.

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

وَكَيْفَ يُصَدِّقُ النَّاسُ بِأَنَّ بَابَ[1] الِاجْتِهَادِ مُغْلَقٌ، وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ مَفْتُوحًا، وَيَسْمَعُونَ اللهَ، وَرَسُولَهُ، يَتَحَدَّثَانِ بِأَنَّهُ مَفْتُوحٌ.

(١) **أَبْوَابُ الاجْتِهَادِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ**: الْعَيْنُ، وَالأُذُنُ، وَالْعَقْلُ، وَالْقَلْبُ فَلَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِإِغْلَاقِهَا، وَلَنْ يُصَدَّقَ مَنِ ادَّعَى إِغْلَاقَهَا، فَكَيْفَ يُقْنِعُ الْعَيْنَ بِأَنَّ مَا تَرَاهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَكَيْفَ يُقْنِعُ الأُذُنَ بِأَنَّ مَا تَسْمَعُهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَكَيْفَ يُقْنِعُ الْعَقْلُ بِأَنَّ الْمَعَانِي الَّتِي عَرَفَهَا غَيْرُمَوْجُودَةٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

وَمَنْ أَطَاعَ أَحَدًا، وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الاجْتِهَادِ، وَالتَّدَبُّرِ لِلْقُرْآنِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَوَكَّلَ غَيْرَهُ بِالنَّظَرِ، وَالسَّمَاعِ وَالتَّفَكُّرِ عَنْهُ، فَسَوفَ يَنْدَمُ حِيْنَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

بَابُ: مُمَيِّزَاتِ الْفِقْهِ

لِكُلِّ نَوْعٍ مِيزَةٌ.

فَمِيزَةُ الْفِقْهِ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ مَنْعُ الْكَلَامِ عَنِ اللهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، بِغَيْرِ عِلْمٍ عَنِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وعَنْ عبد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمِيزَةُ الْفِقْهِ عَلَى الرَّأْيِ، السَّمَاحُ بِالْكَلَامِ عَنِ اللهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ عَنْ عبد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَعُلَمَاءُ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ يَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْعَقَائِدِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ، وَالْمُنَاظَرَاتِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٤، ٢٥].

فَإِنْ تَكَلَّمُوا عَنِ الْعَقَائِدِ تَكَلَّمُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٠].

وقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [يونس:٦٨].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الآيَةِ نَفْسِهَا؛ فقال: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:٦٨].

وَإِنْ تَكَلَّمُوا فِي الحَلَالِ، وَالحَرَامِ تَكَلَّمُوا بِغَيرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٠].

وَإِنْ تَكَلَّمُوا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ تَكَلَّمُوا بِغَيرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل:٣٨].

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الآيَةِ نَفْسِهَا؛ فقال: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٣٨].

وَإِنْ تَكَلَّمُوا عَنِ التَّرْفِيهِ تَكَلَّمُوا بِغَيرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان:٦].

وَإِنْ جَادَلُوا وَنَاظَرُوا فَبِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الحَجِّ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج:٨].

وَإِنِ اتَّبَعُوا أَحَدًا اتَّبَعُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الروم:٢٩].

وَإِنِ اسْتدَلُّوا عَلَى التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ اسْتدَلُّوا بِقَوْلِ الْعَالِمِ[1]، وَإِنِ اسْتدَلُّوا عَلَى الزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ اسْتدَلُّوا بِفِعْلِ[2] الْعَابِدِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟»، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

فَسِرُّ ضَلَالِ عُلَمَاءِ الرَّأْيِ فِي مَنْهَجِهِمْ، وَطَرِيقَتِهِمْ فِي الْفِقْهِ؛ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [الأنعام:١١٩].

فَلَا تَجِدُ فَقِيهًا فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ إِلَّا ضَالًّا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١١٦].

وَمِيزَةُ الْفِقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ: أَنَّهَا تَلْبِسُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ بِخَلْطِ طَرِيقَةِ الْمُسْلِمِينَ، بِطَرِيقَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْعَقَائِدِ، وَخَلْطِ طَرِيقَةِ الْمُسْلِمِينَ، بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١].

(١) إِذَا قَرَأْتَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَشُرُوحِ السُّنَّةِ، وَكُتُبِ الفِقْهِ رَأَيْتَ ذَلِكَ رَأْيَ العَيْنِ.
(٢) وَإِذَا قَرَأْتَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، وَالزُّهْدِ، رَأَيْتَ ذَلِكَ رَأْيَ الْعَيْنِ.

بَابُ: الْفُقَهَـاءِ

الْفُقَهَاءُ: ثَلَاثَةٌ.

الْأَوَّلُ: الْفَقِيهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ:

وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ، وَيَسْتَدِلُّ بِمَا رَآهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ قَالَ فِي سُورَةِ سَبَأ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦].

وَيَعْمَلُ، وَيَسْتَدِلُّ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥].

فَالْفَقِيهُ عَلَى الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: يُلْزِمُ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ:

فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الأعراف:٣].

وَفِي السُّؤَالِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

وَفِي الدِّرَاسَةِ، وَالتَّعْلِيمِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وَفِي الِاسْتِدْلَالِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

وَفِي الْعَمَلِ؛ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَفِي الِاسْتِنْبَاطِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وَالِاسْتِنْبَاطُ: وَهُوَ اسْتِخْرَاجُ الحَلَالِ، وَالحَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، يُسَمَّى: عِلْمًا، وَفِقْهًا؛ لِأَنَّهُ عِلْمٌ أُخِذَ عَنِ اللهِ، وَرَسُولِهِ؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَلَا يُسَمَّى: الِاسْتِنْبَاطُ رَأْيًا مَحْمُودًا؛ لِأَنَّ الرَّأْيَ ظَنٌّ، أُخِذَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، وَالظَّنُّ لَيْسَ عِلْمًا؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨].

فَالِاسْتِنْبَاطُ: هُوَ عَمَلُ الْفَقِيهِ، بِمَا رَآهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦].

(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ: فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

وَعَمَلُهُ بِمَا أَرَاهُ اللهُ، فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

وَالرَّأْيُ: هُوَ عَمَلُ الْفَقِيهِ بِمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ، لَا بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَلِلْفَقِيهِ عَلَى الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ عَلَامَاتٌ: يُعْرَفُ بِهَا لِلدِّرَاسَةِ عَلَيْهِ:

الْعَلَامَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ لَا يُدَرِّسُ، وَلَا يُعَلِّمُ، إِلَّا الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَلَا يَخْلِطُ عَلَيْهِمَا دِرَاسَةَ الرَّأْيِ وَتَعْلِيمَهُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ، وَلَا يَسْتَدِلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا بِقَالِ اللهُ، وَقَالَ رَسُولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَخْلِطُ عَلَيْهِمَا أَقْوَالَ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، فِي الْجَاهِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالتَّرْبِيَةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَا يَجْتَهِدُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْأَحْكَامِ إِلَّا فِي أَدِلَّةِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَلَا يَخْلِطُ عَلَيْهِمَا الْبَحْثَ فِي آرَاءِ الْأَشْخَاصِ الْمَتْبُوعِينَ، فِي الْجَاهِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالتَّرْبِيَةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١) وَالتِّرْمِذِيُّ(٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَعَمَلُ الْفَقِيهِ عَلَى الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ: هُوَ إِخْرَاجُ أَدِلَّةِ الحَلَالِ، وَالحَرَامِ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ، فَإِنْ لَمْ يُخْرِجْهَا فَهُوَ صَاحِبُ رَأْيٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

الثَّانِي: الْفَقِيهُ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ:

وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ، وَيَسْتَدِلُّ بِمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ، وَعَقْلِهِ، لَا بِمَا أَرَاهُ اللهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

---

(١) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، بَابُ: فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ.

(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.

وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ، وَيَسْتَدِلُّ بِمَا رَآهُ الْأَشْخَاصُ الْمَتْبُوعُونَ بِقُلُوبِهِمْ، وَعُقُولِهِمْ، لَا بِمَا أَرَاهُمُ اللهُ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

فَالْفَقِيهُ عَلَى الرَّأْيِ: يُلْزِمُ نَفْسَهُ، بِمَا قَالَهُ الْأَشْخَاصُ الْمَتْبُوعُونَ، فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْحُكْمِ، وَالْعَمَلِ، وَيَحْتَجُّ بِهِمْ، وَيَكْتَفِي بِهِمْ عَنِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

وَلِلْفَقِيهِ عَلَى الرَّأْيِ عَلَامَاتٌ: يُعْرَفُ بِهَا لِاجْتِنَابِ الدِّرَاسَةِ عَلَيْهِ:

الْعَلَامَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ يَعْمَلُ بِمَا رَآهُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ، لَا بِمَا أَرَاهُ اللهُ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْحُكْمِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ؛ كَقَوْلِهِ أَرَى أَنَّ هَذَا حَلَالٌ، وَالَّذِي أَرَى أَنَّهُ حَرَامٌ، وَفُلَانٌ أَرَى أَنَّهُ ضَالٌّ؛قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩].

وَعَلَى هَذَا قِسْ كُلَّ شَخْصٍ يَعْمَلُ بِرَأْيِهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ يَعْمَلُ بِمَا رَآهُ الْأَشْخَاصُ بِعُقُولِهِمْ، وَقُلُوبِهِمْ، لَا بِمَا أَرَاهُمُ اللهُ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالحُكْمِ، وَالِاحْتِجَاجِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الْفُقَهَاءُ عَلَى الْمَذَاهِبِ:

وَهُمُ الَّذِينَ يَخْلِطُونَ فِي الْفِقْهِ بَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ غَيْرِ الْمَعْصُومَةِ، وَأَقْوَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ الْمَعْصُومَةِ، عَلَى الحَلَالِ، وَالحَرَامِ، وَالْعَمَلِ.

فَيَقُولُونَ: قَالَ اللهُ، وَقَالَ الْإِمَامُ.

وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْإِمَامُ.

فَيَخْلِطُونَ بَيْنَ مَا رَآهُ الْإِمَامُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ، وَبَيْنَ مَا رَآهُ الْإِمَامُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ.

وَلِلْفَقِيهِ عَلَى الْمَذْهَبِ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا حَتَّى تُجْتَنَبَ الدِّرَاسَةُ عَلَيْهِ:

الْعَلَامَةُ الْأُولَى لِلْمُتَعَصِّبِ لِلْمَذْهَبِ: حِفْظُ آرَاءِ إِمَامِ الْمَذْهَبِ، وَاخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْهَا لِلْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ.

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةُ لِلْمُتَعَصِّبِ لِلْمَذْهَبِ: حِفْظُ آرَاءِ تَلَامِيذِ إِمَامِ الْمَذْهَبِ، وَآرَاءِ أَتْبَاعِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَاخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْهَا فِي الْعَمَلِ، وَالِاحْتِجَاجِ.

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ لِغَيْرِ الْمُتَعَصِّبِ لِلْمَذْهَبِ: حِفْظُ آرَاءِ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَآرَاءِ تَلَامِيذِهِمْ، وَآرَاءِ أَتْبَاعِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَاخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْهَا لِلْعَمَلِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِ.

وَأَصْبَحَ الْفَقِيهُ عَلَى الْمَذَاهِبِ يَسْأَلُ مَنْ يَسْتَفْتِيهِ فَيَقُولُ: لَهُ أَنْتَ عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ؟

فَإِذَا قَالَ لَهُ: أَنَا عَلَى الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، قَالَ لَهُ: الْحُكْمُ عَلَى مَذْهَبِكَ كَذَا، فَأَصْبَحَ يُرَاعِي الْمَذَاهِبَ وَلَا يُرَاعِي الدَّلِيلَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ تَعَمَّقَ هَؤُلَاءِ فِي الرَّأْيِ حَتَّى نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ.

بَـابٌ

وَالْفِقْهُ عَلَى الْمَذَاهِبِ هُوَ مَا عَلَيْهِ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ الْيَوْمَ فِي التَّدْرِيسِ، وَالتَّعْلِيمِ، فِي الْمَدَارِسِ، وَالْمَعَاهِدِ، وَالْكُلِّيَّاتِ، وَالْجَامِعَاتِ.

وَهُوَ الَّذِي خَلَطَ طَرِيقَةَ الْمُسْلِمِينَ، بِطَرِيقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعَمَلِ، وَاسْتَدَلَّ بِهَا.

وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ الْبَابَ لِتَعَدُّدِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْمَالِهِمْ، الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْ فَتْحِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وَأَمَرَ بِإِغْلَاقِهِ مَعَ شِدَّةِ مُعَارَضَةِ أَهْلِ الرَّأْيِ لِإِغْلَاقِهِ؛ فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

وَالْفِقْهُ عَلَى الْمَذَاهِبِ: هُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ فِي السَّاحَةِ الْيَوْمَ فِي الدُّرُوسِ، وَالْخُطَبِ، وَالْمُحَاضَرَاتِ، وَالْمَوَاعِظِ، وَالنَّدَوَاتِ، وَالْفَتَاوَى، وَالدَّوْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَتْبَاعِ السَّلَفِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَهُوَ الَّذِي فَرَّقَ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَجَمَاعَتَهُمْ، وَأَشَاعَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ، حَتَّى لَا تَكَادَ تَسْمَعُ عَالِمًا يَتَكَلَّمُ، أَوْ يُفْتِي، إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ:

الْمَسْأَلَةُ فِيهَا خِلَافٌ!

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَسْأَلَةِ!

فَأَشَاعُوا الخِلَافَ، وَلَمْ يُشِيعُوا الحُكْمَ فِيهِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

وَأَشَاعُوا الخِلَافَ، وَلَمْ يُشِيعُوا التَّحَاكُمَ فِي الخِلَافِ إِلَى الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

وَالْفِقْهُ عَلَى المَذَاهِبِ: هُوَ الْمُقَرَّرُ فِي جَمِيعِ المَدَارِسِ، وَالمَعَاهِدِ، وَالْكُلِّيَّاتِ، وَالجَامِعَاتِ، فِي الْعَالَمِ.

وَبِهِ فُسِّرَ الْقُرْآنُ، وَشُرِحَتِ السُّنَّةُ.

وَعَلَيْهِ تَخَرَّجَ الْعُلَمَاءُ، وَالْمُفْتُونَ، وَالدُّعَاةُ، وَالخُطَبَاءُ، بِالْمُؤَهِّلَاتِ الْعَالِيَةِ فِيهِ، وَهُمُ الْقَائِمُونَ عَلَى تَدْرِيسِهِ، وَتَعْلِيمِهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ، وَالدِّفَاعِ عَنْهُ مُنْذُ عَشَرَاتِ الْقُرُونِ.

وَمِنْ هُنَا سَتَكُونُ الْمُوَاجَهَةُ لِهَؤُلَاءِ شَدِيدَةً، وَقَوِيَّةً، وَبِإِمْكَانِ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا هَذِهِ الْمُوَاجَهَةَ الصَّعْبَةَ، لَوْلَا مَا أَخَذَهُ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنْ بَيَانِ الحَقِّ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وَلَوْلَا مَا جَعَلَ اللهُ فِي الحَقِّ مِنَ الْقُوَّةِ، وَتَغْطِيَةِ الْبَاطِلِ، وَإِزْهَاقِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨].

وَلَوْلَا مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ مِنْ نُصْرَةِ الحَقِّ، وَأَهْلِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وَسَيُرْمَى كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ عَنْ أَخْطَاءِ المَذَاهِبِ بِالدَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، فِي دِينِهِ بِالجَهْلِ، وَفِي أَخْلَاقِهِ بِالتَّطَاوُلِ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ، وَاحْتِقَارِهِمْ، وَالحَطِّ مِنْ قَدْرِهِمْ.

وَسَيَرْمِيهِ أَهْلُ السُّنَّةِ الْمُتَفَقِّهُونَ عَلَى المَذَاهِبِ، قَبْلَ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، مَعَ أَنَّ فِقْهَ الرَّأْيِ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ، وَمُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ عِنْدَ أَتْبَاعِ المَذْهَبِ مِنِ اتِّبَاعِ طَرِيقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ، مَا دَامَتْ فِي المَذْهَبِ وَسَيَقُولُ الْمُتَفَقِّهُونَ عَلَى المَذَاهِبِ عَنْ كُلِّ مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ أَخْطَاءِ الْأَشْخَاصِ المَتْبُوعِينَ لِعِلْمِهِمْ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ عَمَّنْ تَحَدَّثَ عَنْ أَخْطَاءِ الْأَشْخَاصِ المَتْبُوعِينَ لِجَاهِهِمْ، وَتَرْبِيَتِهِمْ؛ بِأَنَّهُ يُسَفِّهُ الْأَشْخَاصَ المَتْبُوعِينَ، وَأَنَّهُ جَاهِلٌ مُتَكَبِّرٌ، وَمُتَطَاوِلٌ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ حِكَايَةً لِقَوْلِهِمْ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٧٨].

وَهذَا مَنْهَجٌ يَتَّبِعُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الحَقِّ.

كَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا دَعَاهُمْ لِلْحَقِّ، وَالتَّوْحِيدِ، قَالُوا: سَفَّهْتَ آبَاءَنَا، وَهَؤُلَاءِ قَالُوا: سَفَّهْتَ أَئِمَّتَنَا.

وقالوا لِأَبِي طَالِبٍ لَمَّا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، قَالُوا: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟، وَهَؤُلَاءِ قَالُوا: أَتَرْغَبُ عَنْ مَنْهَجِ أَئِمَّتِنَا؟.

وَلَا غَرَابَةَ أَنْ يُدَافِعَ كُلُّ صَاحِبِ مَذْهَبٍ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَأَنْ يُهَاجِمَ كُلَّ مَنْ لَيْسَ عَلَى مَذْهَبِهِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ مَالٍ، وَجَاهٍ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨].

إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الحَقِّ ثَابِتٌ عَلَى الحَقِّ الَّذِي عِنْدَهُ، وَاثِقٌ فِي رَبِّهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ حِكَايَةً لِرَدِّ شُعَيْبٍ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

وَسَيَنْبَرِي أَتْبَاعُ الْمَذَاهِبِ: فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْأَخْطَاءِ الَّتِي فِي الْمَذَاهِبِ، بِسَرْدِ سِيَرِ الْأَئِمَّةِ فِي الْعِلْمِ، وَالْعِبَادَةِ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَانْتَبِهْ لَهُمْ.

لِأَنَّ مَكَانَةَ الْأَئِمَّةِ الْعِلْمِيَّةَ، وَالدِّينِيَّةَ، لَا تَمْنَحُهُمُ الْعِصْمَةَ مِنَ الْخَطَأِ، وَلَا تُعْطِيهِمْ حَقَّ الطَّاعَةِ، وَالِاتِّبَاعِ فِي التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَلَا تَجْعَلُ أَقْوَالَهُمْ أَدِلَّةً.

وَالحَدِيثُ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ، مِنَ التَّدْلِيسِ عَلَى الْأُمَّةِ.

لِأَنَّ عِلْمَ الْأَئِمَّةِ، وَصَلَاحَهُمْ، وَفَضْلَهُمْ عَلَى النَّاسِ ثَابِتٌ، لَا جِدَالَ فِيهِ، وَلَا اخْتِلَافَ عَلَيْهِ، وَكُلُّ سَبْقٍ فِي الْعِلْمِ، وَالْعِبَادَةِ، لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعٌ.

وَلَوْلَا اللهُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، لَمْ نَتَعَلَّمْ، وَلَكِنَّ الخِلَافَ لَيْسَ فِي عِلْمِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ، وَفَضْلِهِمْ، وَنَفْعِهِمْ لِلنَّاسِ، وَبَلَاغِهِمْ عَنِ اللهِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنَّمَا الخِلَافُ فِي الْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَجَعْلِهَا أَدِلَّـةً، مَادَامُوا لَيْسُوا مَعْصُومِينَ.

وَالخِلَافُ فِي إِنْكَارِ وُجُودِ أَخْطَاءٍ فِي كُتُبِ المَذَاهِبِ، وَهُوَ مَا يَسْتَمِيتُ أَتْبَاعُ المَذَاهِبِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ.

وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ عِنْدَ أَتْبَاعِ المَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ السُّنِّيَّةِ خَلَلًا فِي الْعَمَلِ بِالْقَوَاعِدِ الَّتِي وَضَعُوهَا.

لأنهم يَقُولُونَ: إِنَّ أَئِمَّةَ المَذَاهِبِ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ، ثُمَّ يَحْتَجُّونَ بِهِمْ، وَالِاحْتِجَاجُ بِهِمْ هُوَ دَعْوَى لِعِصْمَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحْتَجُّ إِلَّا بِالمَعْصُومِ، وَهَذَا يَتَنَافَى مَعَ قَوْلِهِمْ.

وَيَقُولُونَ: الْأَئِمَّةُ غَيْرُ مَعْصُومِينَ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ فِي كُتُبِهِمْ، وَمَذَاهِبِهِمْ أَخْطَاءً، وَيُعْلِنُونَ الحَرْبَ عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ دَعْوَى ثَانِيَةٌ: بِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ لِأَنَّ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي كُتُبِهِ أَخْطَاءٌ هَذَا مَعْصُومٌ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢].

وَالْقَاعِدَةُ الْقَوْلِيَّةُ عِنْدَهُمْ: أَنَّ أَقْوَالَ الْأَئِمَّةِ لَيْسَتْ أَدِلَّةً، وَفِي الْعَمَلِ يَجْعَلُونَهَا أَدِلَّةً.

فَيَقُولُونَ: حَلَالٌ، وَبِهِ قَالَ الْإِمَامُ، وَتَبِعَهُ شَيْخُنَا.

وَحَرَامٌ، وَبِهِ قَالَ الْإِمَامُ، وَتَبِعَهُ شَيْخُنَا.

وَهَذَا يُؤَكِّدُ إِصْرَارَ أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ السُّنِّيَّةِ: عَلَى الْقَوْلِ بِعِصْمَةِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَمَلِ، وَإِنْ أَنْكَرُوهَا بِالْقَوْلِ.

وَقَدْ تَفَوَّقَ الرَّافِضَةُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ: فِي تَطَابُقِ أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ لَمَّا قَالُوا: إِنَّ أَئِمَّتَهُمْ مَعْصُومُونَ، وَاسْتَدَلُّوا بِهِمْ.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُمْ بِعِصْمَةِ أَئِمَّتِهِمْ بَاطِلًا؛ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ لَا يُعْطِيهَا إِلَّا اللهُ، وَالَّذِي أَعْطَى الْعِصْمَةَ لِأَئِمَّةِ الرَّافِضَةِ، هُمُ الرَّافِضَةُ، وَلَيْسَ اللهَ.

بَابٌ: وَالْفِقْهُ عَلَى الرَّأْيِ هُوَ طَرِيقَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَلَيْسَ عِلْمًا حَتَّى يَدْرُسَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَيُدَرِّسُوهُ فِي الْفِقْهِ، وَأُصُولِهِ، وَقَوَاعِدِهِ، وَيُفَسِّرُونَ بِهِ الْقُرْآنَ، وَيَشْرَحُونَ بِهِ الْآحَادِيثَ.

وَقَدْ دُسَّ فِي مَذَاهِبِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْعَقَدِيَّةِ، وَالْفِقْهِيَّةِ، دَسًّا حَتَى أَصْبَحَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَأَصْبَحَ مَنْ يُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ فِي كُتُبِ الْمَذَاهِبِ مُتَّهَمًا بِعَدَمِ احْتِرَامِ الْأَئِمَّةِ، وَالِانْتِقَاصِ مِنْ قَدْرِهِمْ، مَعَ أَنَّ أَئِمَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَمْ يَضَعُوهُ، وَلَمْ يَرْضَوْهُ، وَنَهَوْا عَنْهُ، وَإِنَّمَا وَضَعَهُ أَتْبَاعُهُمْ، وَهُوَ سَبَبٌ رَئِيسٌ فِي تَغْيِيرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَاخْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ تَدَبُّرِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وَفِي الخِتَامِ: لَا يَسْتَجِيبُ للهِ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ إِذَا دَعَاهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٣-٨٥].

وَلَا يُعَانِدُ، وَيُكَابِرُ، وَيَرُدُّ الحَقَّ، وَيُحَارِبُ أَهْلَهُ، إِلَّا صَاحِبُ هَوًى؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ القصص: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص:٥٠].

وَأَنَا أُبَيِّنُ الحَقَّ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَلَا أَمْلِكُ إِكْرَاهَ أَحَدٍ عَلَيْهِ، أَوْ إِلْزَامَ أَحَدٍ بِهِ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩].

وَأَقْبَلُ النَّصِيحَةَ، وَأَرْجِعُ عِنِ الخَطَأِ؛ بِشَرْطِ أَنْ لَا يُبَيَّنَ الخَطَأُ بِقَوْلِ أَيِّ إِمَامٍ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ لَيْسَ مَعْصُومًا، وَقَوْلُهُ لَيْسَ دَلِيلًا.

وَإِنَّمَا يُبَيَّنُ بِالدَّلِيلِ المَعْصُومِ، وَالحُجَّةِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ الظَّلَامَ، لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا النُّورُ؛ قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

فِهْرِسٌ

المقدمة..... ٥
أبواب: تعريفه..... ٩
باب: تَعْرِيفِ الْفِقْهِ فِي لِسَانِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ..... ٩
بَابُ: تَعْرِيفِ الْفِقْهِ فِي شَرِيعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ، وَمُبْتَدِعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..... ١٢
بَابُ: مَرَاتِبِ حَمَلَةِ الْفِقْهِ..... ١٥
بَابُ: وَظَائِفِ الْعَالِمِ، وَالْفَقِيهِ الَّتِي كَلَّفَهُ اللهُ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ..... ١٩
بَابُ: أَبْوَابِ التَّعَلُّمِ..... ٢٧
بَابُ: أَنْوَاعِ الْفِقْهِ فِي الدين..... ٣٢
بَابُ: طُرُقِ الْفِقْهِ..... ٤٢
بَابُ: طَرَائِقِ الْفِقْهِ..... ٤٩
بَابُ: أَئِمَّةِ الْفِقْهِ..... ٥٦
بَابُ: طُلَّابِ الْفِقْهِ..... ٦٧
بَابُ: أَصْحَابِ الْفِقْهِ..... ٦٩
بَابُ: أَتْبَاعِ الْفِقْهِ..... ٧٩
بَابُ: دَعْوَى فُقَهَاءِ الرَّأْيِ..... ٨٢

بَابُ: مَنْ أَسَّسَ فِقْهَ الرَّأْيِ فِي الدِّينِ..... ٨٢
بَابُ: مَنْ أَخَذَ عَنْهُ الْمُسْلِمُونَ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّأْيِ..... ٨٣
بَابُ: مُمَيِّزَاتِ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْفِقْهِ..... ٨٦
بَابُ: الْفُقَهَاءِ..... ٨٩
بَابٌ: الْفِقْهُ عَلَى الْمَذَاهِبِ، هُوَ مَا عَلَيْهِ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ الْيَوْمَ..... ٩٦
بَابٌ: فِقْهُ الرَّأْيِ الَّذِي أَحْيَاهُ عُلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ، مُنْذُ عَشَرَاتِ الْقُرُونِ..... ١٠٢

تم بحمد الله

لِلطَّبعِ وَالنَّشرِ وَالتَّوزيع

جمهورية مصر العربية - الإسكندرية

+201220482504

+201003225280

e-mail: prdise2030@gmail.com